الطبعة الأولى 1443 هـ - 2021 م
(ISBN) : 978-9931-13-162- 5
الإيداع القانوني: 2021/08

اسم العمـــــل: على قيد الأمـــل
اسم المؤلـــف(ة): بوقلي إيمان / بوشنافة فاطمة الزهراء
تصميم الغلاف: زكرياء رقـــاب
إخـــــــراج: أحمد منصـــوري
تدقيق لغـــوي: إكرام مباركـــــي
المدير العـــام / سميرة منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبـــوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكترونـــي: www.elmmothakef.com
هاتـف / فاكس 79 47 80 033 / 19 04 68 0770
واتساب/86 73 49 0675
مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر.
©

بوشنافة فاطمة الزهراء
إيمان خير الدين
على قيد الأمل
نصوص

الإهداء

إلى الذين فقدوا أنفسهم ولم يفقدوا الأمل في إيجادها..

إلى الذين أفلت منهم الآمال ولازالوا مبتسمين، ولازالوا حاملين حامدين..

إلى المتوارين عن الأعين، المتورّمة أجفانهم من فرط البكاء ولم يلحظهم أحد

إلى الذين انفطرت قلوبهم لغياب أحدهم

إلى الذين اختطف الموت الدّفء من حياتهم

واحتضن التّـــــراب شطر أرواحهم، فغدوا أنصاف روح متحرّكة

إليكم كتبنا ولازلنا نكتب..

لست بخيـــــــر...

أنت لست بخير..

حين تكتفي بالصّمت والمراقبة رغم كلّ البوح الذي تريده فأنت لست بخير..

حين تكتفي بكلمات متقطعة بالية خالية من أي شعور فأنت لست بخير

حين تكتفي بالتواري وملازمة كتابك ومشاهدة فيلمك المفضل دون إحداث ضجيج فأنت لست بخير

حين يطرح عليك السؤال أن ما بك؟ وتكتفي بالنّـظر والرّد أنّـك بخير فأنت لست بخير

حين تبتعد رغم الجموح الذي يرميك للاقتراب فأنت لست بخير..

حين يدفعك الشوق لتتصل ثم تتردّد وتغلق هاتفك فأنت لست بخير

حين تدفعك اللّـهفة لتكتب ثم تمزق الورقة وتضعها في سلّة المهملات فأنت لست بخير

حين تجلس وتحسن السّمع لتذمّر صديقتك وهي تشكوك حزنها، وتواسيها متناسيا حزنك متعمّدا إخماده

فأنت لست بخير..

حين تهرع لمساعدة الجميع بما بقي لك من جهد وأمل، ولا تطلب من أحد مساعدتك ولا تنبس ببنت شفة أنّك لست بخير فأنت لست بخير ..

لست بخير لأنك لم تنجح في العيش لنفسك ..

لأنك قلت يوما ليحترق الكون أمام حزني، ثمّ كنت أوّل المطفئين لذلك اللّهيب، وعلى حساب حزنك أيضا

لست بخير لأنّك همست لقلبك بذات جرح أن لا مبالاة بعد اليوم، ثمّ تجدك مبالٍ في كلّ حين وكل ضيق وكل حرف..

لست بخير لأنك كلما زرعت وردا حصدت شوكا ونزفت دما..

لأنك يوما قطعت لنفسك عهدا بأن تعتزل ما يؤذيك، فاعتزلت كل شيء واعتزلت الأماكن واختزلت نفسك وبقي الأذى..

لست بخير لأنّــك كلما آثرت التماسك وادّعيت القساوة جهارا ارتعدت ليلا

أبدا لست بخير حين تشاهد شغفك للحياة يتلاشى وتكتفي بالصمت والمراقبة

حين تنطفئ الشموع بوجدانك وترضى بالظلمة، وتتأقلم فأنت لست بخير..

في شريعة الحبّ أنا كافرة...

هي ذي عبادتي في الحب يا عزيزي..

إن أحببت! أحببت بكليتي، لا أعرف حبا بالأنصاف

إما أن أحبك أو لا أفعل، إمّا أن تحبني أو لا تفعل

إن أحببت غمرتك مشاعري حد الاختناق، الاختناق حبّا هواية الغابرين في الحب يا عزيزي..

ولك أن تقرأ عن الأسلاف من العشاق إن أردت..

إن أنا أحببت اهتممت وأكثرت الاهتمام، سترى في ذلك مبالغة أعي ذلك، لكن اعلم إن يوما يأتي تلمس فيه إهمالي فذلك لأنّـك لم تعد تشكل فارقا بالنسبة لي

التفاصيل التفاصيل، أميرة أنا في قصة التفاصيل؛ فإن أنت لا تجيد روايتها! فعذرا لا تقترب

العارف بالحب كالعارف بالدرب، يدرك ظلامه، خشونة حصاه ورعب أصواته

مع ذلك يمشي فيه دون سواه، كذلك هو الحبّ..

إن قلتَ أحبك فبما أنا عليه "بحلمي، بأيدولوجيتي وقناعاتي وطموحي، بألمي وقلبي"

لا خيار في الحبّ.. إمّا أنا أو أخرى.

إن أحببت كنت لك الأمَّ بعد الأمِّ، والأخت مع كثرة الأخوات، والصّديق والصّديقة والذّراع..

وكنت لك الحجر والملاذ، بالمقابل كن لي -أنا المخلوقة من ضلعك- فقط الأمان

إن نجحت بأن تكون أمانٍ نجحت فيما دون ذلك..

إن أحببتك جئتك بكامل ثقلي وبضعفي دونما خجل وتركت نفسي لك، لا أبتغي منك كلاما مللت سماعه..

أبتغي عناقا يقر به خافقي..

حين تتعكر مياهي الراكدة وتتغيّر مزاجيتي، وأطلب منك أن تتركني لوحدي ابقَ..

عادة أنجح في امتصاص حنقي لكن إن لم أفعل فأرجوك أوجد سبيلا لتهدئتي

يتيمة أنا في اختلاق المشاكل والغضب دونما أسباب وبائسة في الصّراخ والإفصاح

مع هذا بارعة في الكتمان، بارعة في التّجاوز، تلك معرفتك بي أصلا..

لذلك إن حصل وأطبقت المكان بالصمت فاعلم أنّك أخطأت

لا تعتذر، فقط اقترب واجعل يدك الحانية تطوف على وجهي واغمرني بدفئك.

لست ملاكا، سأقسو أحيانا، وأسمعك كلاما لا ذنب لك فيه..

وسأخطئ بحقك أكيد، وأمارس تمرّدي مرّات، تحمّلني وتجاوز عنّي،

واعلم أنّني مع كل ذاك أحبّك..

سآتيك خائفة بإحدى الليالي، سأرتجف وتصطكّ أسناني وربّما تغثو معدتي..

لا تطلب طبيبا ولا تعطني دواء، دثّرني واحتوِ خوفي فقط

حين تجدني شغوفة بالنظر في عمق عينيك، بالاسترسال في الحديث إليك، بالارتماء في حضنك

رجاء لا تطفئ شغفي ببرودك، لأنّك ستحدث ثقبا بقلبي في كل مرة وتخيل كبر الثقب إن توالت المرّات..

تأكد قلبك هو أمانتي، وإن يوما حدث وكنت سببا في جرحك سأبتعد هنا لأضمد جراحك لا لأزيد من شرخها..

في شريعة الحب أنا كافرة، سأنكر الظروف والمسافات، والعرف والعادات في حضرتك

فإما أن تعتنق حبّي وتختارني بمعصيتي، أو تتركني لأستغفر خطيئة عشقك

ثم إن حصل وبسطت يدك لتخذلني ما أنا فاعلة بمثل فعلتك

وتأكد إن أنا مددت كفي إليك وتلقّفها حبك فستبقى كذلك إلى أن يورث الله الأرض وما عليها..

أسطوانة حياتي...

كانت كل المدينة تضجّ

تراقصت أوراق الخريف لتتناثر في شوارعها

تعالت أهازيج الصّخب من دورها

أحاديث سكانها الممزوجة بالترهات

وقع الخطوات..

ترانيم أطيّارها..

كل الأطراف كانت تلقي خطابها، ولكن بيد أنّ هذا الصّمت الذي يصمّ

أذني صمتي أنا

صمت داخلي أنا..

ألج من الباب وأنا ألعن للمرة الألف نفسي، وكل القرارات التي زجت بي هنا

أمرّ بمحاذاة الحائط أتجنب نظر الحارس، أسترق الخطى وأشيح عنه

وجهي

يلمحني ويعلو صوته خلفي ملقيا سلامه

أتعمد اللّاسمع ويتعمد الحديث

تبا لك كفّ عني هراءك..

أتمتم كلماتي هذه وأعلن الرحيل معلقة لسانه يلهو في الهواء

أدخل غرفتي ..

أكبس زرّ الأسطوانة وأغرق سمعي في أحاديثي

ثمّ في الزّاوية أتّخذ من القرفصاء جلستي

أتكوّر على نفسي وأتلاشى رويدا

أسعى لأعيد لذاتي ما تبعثر منها..

أعود لأقرأ وأداعب كتبي

أتصالح مع قلمي، ويعدني بدوره أن يتبرع بشيء من مداده الأسود في سبيل شغفي

وأكتب كلمات متفرقة، قاسية وذات معنى مكرر ساذج

ولكنّني أكتب في نهاية المطاف

أرتمي بين أحضان الحيطان

أنزوي وألازم مكاني المعهود

فراشي، هاتفي، مذكرتي وكم من الأوراق

أراقب، أتوه في كل شيء وأحاول الكتابة عبثا

وأعود لصمتي..

أنجح بالعودة إلى هذه العبادة دوما

مهما طال الهجر، أنجح بالصمت دوما

وأجده ملبيا رحيما في كل مرّة

أجد الصّمت ملاذا في كل مرّة..

عذر أقبح من ذنب...

بعد سنوات من الغياب المفاجئ عاد من جديد

عاد ليبرّر بأنّـه كان مضطرّا للرّحيل

عاد آملا في تكفير الذنب بهكذا عذر

وأنا كنت مضطرّة أيضا..

اضطررت أن أصدق حقيقة رحيلك

أن أتلوع بجمر الاشتياق وأحترق بنار الحنين..

أن أبتسم بمرارة، وأردّ ببلاهة في كل مرة يسألونني عنك

"لم يصلني خبر منه بعد" ثمّ أختفي خلف أول جدار وأكتم شهقتي

اضطررت أن أقنع نفسي بأن هاتفي لن يرن باسمك، وأنّ الرّسالة التي

أنتظرها منك لن تصل

أن أفنّد كذبة الغياب المؤقت، وأستفيق من خدر الصدمة الأولى وأدرك

أنّـك لم تعد موجودا..

كنت مضطرة لئلا أنتظر

اضطررت طوال سنوات مضت أن أضحك ملء فمي جهارا، وأثبت

أنني لست بائسة رُميت على قارعة الحبّ وتُركت..

اضطررت أن أردّد مرارا "نعم أنا بخير" ثم أغلق باب غرفتي لأبكي سرّا

وأفرط في البكاء

أبدا لم أكن كذلك بعدك، لكن كنت مضطرّة لأن أوهم نفسي أنني بألف خير دونك

اضطررت أن أقاوم مليونا من المرات سؤال "لماذا؟"

أن أتصالح مع ذاتي وأقتنع أنني لم أكن مذنبة في حقك، أم تراني كنت كذلك فعلا ؟؟

الأحلام التي سطرتها على مسمعك

الأغاني التي سمعناها سويا..

الأفلام التي اخترناها معا

الكتب التي أردتني أن أقرأها

الكلمات التي كتبتها لك

كل التفاصيل التي عشتها معك، وفرط الحبّ الذي كنت أكنّه لك..

اضطررت أن أؤرشف كل تلك الذكريات

أطوي صفحتك وأمضي لأكمل حياتي في لجّ غيابك..

عذرا.. كنت مضطرة أن أنساك.

الوقعـــــــة...

يحصل أن تأتي عليك أيّام تسقط فيها

وحين تسقط سيراك الجميع..

من تتوقعه ومن لم تتوقعه

حتى الأعمى سيسمع وقع السّقـوط

وستلبث هناك، مكان الوقعة..

لثوانٍ على ما يبدو

ويدور بك دولاب الزّمن، ويتأرجح بك التوقيت

وربما تكون على عتبة السّنين..

ويطول السقوط، تنتظر يدا تمتد إليك لتنجدك

خطفة تعيد إليك استقامة عمودك الفقري

ويطول الانتظار أيضا..

فلا الخطفة تأتي، ولا اليد إليك تمتدّ

فقط مدة الوقعة تمتد

حينها ستدرك أن لا أحد لك

أنك لوحدك، وأنّ لك فقط نفسك

وقتها تبادر، تشرع وتحاول..

لا تنتظر معونة كائن، لا تبغي يدا عليها تشدّ

ترتكز على يدك بقوة معصمك أنت وتحاول

يعاكسك الحظ فتهوي مرة أخرى

لكن تتحامل، تعيد الكرّة، مرة بعد مرة..

وتستند، تستند بأيّ شيء

وركّز معي بكلمة - شيء -

أي شيء يفتقد إلى نبض، أي شيء يخلو من أوعية دمويّة

أي شيء جامد غير بني آدم..

ستراهم قبالتك بأعينهم يحدقون فيك

ستلمحهم بأسهم نظراتهم يعاينوك

ستسمعهم بحفيف صوت يتهامسون، أن محال نهوضك

وفئة منهم تجدهم ضاحكين ساخرين..

يلفونك بسلبياتهم، وبانتقاداتهم يغذون ضعفك

جسدك يراقصك، توازنك يخذلك

وتهب ريح الأيام تدعم وقعتك

ستلعب لعبتها هي الأخرى..

وستكون صلابتك مقصدها

وتكون هشاشتك الجوكر المربح لها

لكنك ستصمد أمامها..

وستصمد أمام كل هجمة تستهدف حيلتك لتخير قواك

قواك تلك نفسها التي ستجمعها بنفسك وتنهض..

وتعتدل، وتنتصب، وتعيد الاستقامة لعمودك

تصوب نظرتك من جديد، وتكمل الدّرب

وفي طريقك إلى الأمام، ستنتعش ذاكرتك

تسترجع كل الذي كان وستدرك..

ستدرك أن تلك القوة لم تكن قوة معصمك بل قوة باطنك

أن الجماد الذي ارتكزت عليه إنما هو إيمانك بنفسك

هو نفسه الذي نبض بتوكلك على خالقك

وبتقدّم الخطى..

وبتقدّم المسير في درب الحياة تكتسب الثّقة

تلك التي سلبت منك عنوة، ستستردها عنوة من فك الأيام

ستعرف حينها أن الوقعة لابد منها..

أنّـها في الحياة اختبار

وبنهوضك وثباتك تكتب تاريخ نجاحك

وتبصم في الزمن على تقارير انتصارك

وستمضي بهذي الكلمات يرددها لسانك..

رغم الانكسارات ورغم العثرات

يبقى الفشل صريع المحاولات

مادمت تأمل، ما دمت تفعل

مؤكّـد ستصل..

الرّمق الأخير قبل انتحاري...

أحيانا يجتاحني شعور باعتزال كل شيء

أن أعتزل العالم وأتخذ لنفسي مكانا قصيّا

أهرب بذاتي بعيدا، بعيدا جدا حيث اللّامكان

أهرب وأكون هناك بمنأى عن الجميع..

أود أن أكون وحيدة في ذلك المكان المتخم بالهدوء حيث حفيف الأوراق يحتله

وهديل الحمام يطرب أرجاءه..

أمكث هناك وقلبي بصحبة كتاب

أحادثني وأقرأ..

أستمع لآخر أغنية راقتني، وأظل أستمع وأستمع حد الملل..

أنفرد بمشاهدة فيلم وبمنأى عن الجميع أيضا أطلق لدمعي عنان الانسياب

أو ربّما أنسج قصة ما وأعايش خيالا

لا يهم ما أفعله هناك وأي المشاعر أبدي

لا يهم إن أطلت الشرود

إن أمعنت النظر في السراب وإن أنا فعلت اللاشيء

المهم أن أنغمس في أعماقي وأخلق عالمي هناك

أثمل بغير خمرة وأغيب عن هذا الواقع..

هذا الواقع بات مؤلما..

أود أن أغفو هناك وأبتعد للحظات

فقط لحظات.

حسنا،

أظنني بالغت قليلا

والحقّ أنّني أود أن أغفو للأبد...

فقدتها وكفى...

قمت اليوم أكتب أم أسير لا أدري..

حملت القلم أكتب بحبره أم أتبع آثاره لا أدري

"أنا وأعوذ بالله من كلمة أنا" جملة ذكرتني بها، كنت أردّدها دوما تبعا لكلمة "أنا"

ولكن إبّان ما كنت أعرفها

اليوم أعذروني لن أردّدها، كوني ما عدت أعرف إليها سبيلا

لست أقول أنني بلا هوية، بلى أنا كذلك..

لدي وطن، أنتمي إلى نسب، نبتة من شجرة عائلة

أب، أم، إخوة، أهل، جيران وأصدقاء كثر..

لكن أين الأنا من كل هذا؟

سؤال غابت عني إجابته

أو بالأحرى لنقل أن جوابه كالآتي

فقدتها وكفى..

قمت أكتب وأسير، أفتش عنها..

وها أنا ذا أجوب شوارع الحكايات علني أحظى بها في جزء من أجزائها

مع أنها لم تكن لها حكاية أبدا ولكنّه الأمل

مررت بأزقة الروايات أبحث عنها

من يدري فربّى صدفة خير من ألف ميعاد، وتكون بين فصل من

فصولها مع أنها لم تحلم برواية قطّ..

تبًا..

الحقيقة أنّها حلمت

كالعادة أحلام يقظة مطموسة بضباب سراب دفينة الخيال

باختصار؛ تحلم والسّلام..

هنا تذكرت شعاع نورها في حلمها الأوّل

يوم حلمت برواية لها كان ذلك قبل

لا أذكر بالضبط، فلا المكان مدون ولا الزمان مؤرخ

نفضت غبار النسيان عن ذاكرة الأفكار، ورحت أتصفّح وريقات أيّامها

رواية من سطرين وبقايا حروف مبعثرة

لم أفهم من سيل مددها شيئا، رواية افتقدت لعنوان وهنا كانت

الخيبة..

إذ كيف للباب أن يعرف من غير عنوان

أو يفتح دون مفتاح..

جلست على شرفة الذكريات وامتثلت للقدر كعابر سبيل أنتظر طيفها

وطيب عطرها

وهنا كان التّــفاؤل..

اشتقتك؛ كلمة تتأرجح على لسان العاشق يداعب بها قلب معشوقته..

لكنني جعلتها ذخرا أناغم بها أسماعها يوم ألاقيها

وهنا كان الانتظار

فلسفة أكتب بها ولست أفقهها

كلمات على الورق أخطّها ولست أعيها

ولكنّها الرغبة..

كلمات لن تقال باللّسان...

كان لابد أن يحصل هذا مذ بدء الحكاية

كان لابد أن لا أقطع طريقك لأقف قبالتك

كان لابد أن تودّعني قبل هذا بألف ميل من مسافة الكلمات

انتظرت ؟ أدري

تعبت؟ أعلم

لكن ليس بيدي حيلة لأزيل تعبك

لأكذب عليك وأجرّك بين أشواك دربي نحو ظلام بمتاهات مغارتي

ليس ذنبي..

أدرك أنّــك تأبى التصديق لكن أقسم بكلّ الصّمت الذي شهد ساعات

النجوى بيننا أنه ليس ذنبي

من يسألني عن تعبي أنا..

من يسألني عن كم الأماني التي تبعثرت في علياء سمائي..

لست الجميلة التي تتمناها

لست من يهيم قلبك لسحر عيناها

لا تكذب على صدقي وصدق مشاعرك، وتخبرني أن الجمال جمال

الروح

فتلك أحجية غابت بغياب الزمن الجميل وحكايا العجائز ونقاء الأفئدة

لا تحاول إقناعي بأكذوبة ناقضت عصر المظاهر وزيغ البصائر وزيف المشاعر..

كيف أصدق وجمال روحي ينزف من هول الأكاذيب

رفضت يا عزيزي يوما لأن جمال ملامحي لم يكن كافٍ

انتحب جمال روحي، وصفاء طياتي، ورقيّ فكري، وانتحبت ابتسامتي..

وأقسمت كرامتي أن لا تسليم ولا تصديق ولا توثيق لمقسم محبّ زائف بعد اليوم

وها أنا ذا لنذر القسم موفية

رفضت قبل هذا لكوني طيّبة

لم يحبني الذي تمنيت به خيرا

والذي أحبّني لطيبتي رفضته أنا

أهو ردّ الفعل بعد قوّة الطّعن؟

أهي القسوة؟

لست أدري..

لست أدري أي المعايير هذه التي نزن بها مواقفنا في الحياة

سقطت قوانين الفيزياء وكلّ معارفي بعد ذلك اليوم

ولست أدري حالي الآن وأنا أخطّك هذه الكلمات

كلماتي الأخيرة التي أزفها إليك بعبق الصدق الذي لم ولن أمتهن غيره

في مقايضات هذا الزمان..

كلمات أخيرة أصدع بها جدران قراءتك بعد كل أيام الصمت التي

أطبقتها عليك

تراني قاسية عليك بصدقي هذا أم قاسية عليّ؟

تراني أغرز خنجر كبريائي لأفتح في قلبك جرحا بقطر جرحي

لست فاعلة صدّقني..

لازال جرحي مفتوحا لم يندمل

فاعلة أنا لأقي جرحي من التعفن

كثيرة هي مضادات النّزف والألم تلك التي تجرعتها علها تكون بلسما

كثيرة هي الأدوية التي ألقمتها لقلبي علّه يُداوى ويُشفى..

موجع هو العذاب الذي كابده

أأتركه الآن للانتكاسة؟

كان لابد أن يحصل هذا..

وأن تنطق شفتانا بكلمة الوداع هذه حتى قبل أن نلتقي.

ميلاد آخر...

نهضت كعادتي صباح يوم حارقة شمسه..

مسكت الهاتف أتصفح الحساب لأجد رسالتك وتهنئتك

أصدقك القول أن شيئا من التعجب اعتراني

لم يحدث أن انتظرت رسالة من أحد يبثني فيها صدقا أنّه لم ينس يوم ميلادي

رسائل إلكترونية كثيرة يدندن بها وارد الرسائل لدي في هذا اليوم..

أفتح وأرد باقتضاب حينا، وبشيء من المزاح حينا آخرا

أدرك تماما أن تقنية مارك هي السبب وراء تذكر كل أولئك الأصدقاء..

إشارة على الفيس تخبرهم أنّ هذا اليوم من هذا الشهر لهذه السنة هو يوم ميلاد تلك الصديقة

ليهرع الأحباب والأصحاب إلى صفحتي يلقون أحلى وأعبق عبارات الحبّ والتّهاني..

وأن جميل أنّني موجودة بينهم

أقدر ذلك طبعا..

ولكن يوما لم أوقع تاريخ الميلاد على بيانات الصفحة قبل التّعديل، لم يذكّرني أحد

غاب الأحباب والأصحاب بغياب الإشارة

بتنا ننتظر إشارات لتعيد لنا ذكرى الغوالي..

لم آبه يوما لعيد ميلادي

لا أذكر يوما أنني احتفلت به

لم أطفئ الشموع وأغمض جفناي أناجي أمنية

كنت أراهم دائما غرباء أولئك الذين يحتفلون بأعياد ميلادهم..

يحتفلون لعام نقص من أعمارهم

جنون ذاك الذي يفعلونه وكنت أرى نفسي العاقلة بينهم

لم أنتظر يوما هدية من أحد، ولم أنتظر رسالة

لكن رسالتك هذه أشعلت فتيلا بزوايا روحي الظّلماء

وأيقظت أحاسيسا لطالما كانت خامدة..

أن لا تنسى ذكرى مرّت على مسمعك مرور الكرام بذات دردشة..

أن تعطي اعتبارا لكلّ أيّـام النّقاء

أن تبطل مقولة الصّديق وقت الضّيق

وتوثّقها بأخرى "الصديق وقت الفرح والقرح" فتلك أسمى المعاني

وأجود الاهتمام..

رسالتك اليوم غيرت منظوري عن الميلاد

أدركت اليوم لماذا يحتفل الآخرون بميلادهم!

لا لإطفاء شمعة، ولا لإلقاء أمنية، ولا لتلقّي هديّة..

بل ليقرؤوا رسالة الاهتمام هذه

ليطمئنوا أن من أحبهم فؤادهم واحتوتهم أعماق أرواحهم لم ينسوا

فقط ألهتهم الحياة، لكن أبدا لم ينسوا..

"كل سنة وأنت بخير" ظاهريا هي "كل سنة وأنا معك" باطنيّا

هي ذي الرسالة التي ينتظرها المحتفلون بأعياد ميلادهم..

وهي ذي الرّسالة التي كنت أغفل عنها لثلاثة وعشرين سنة مضت

رسالتك اليوم ذكرتني أن بين جيوب الأيام أناس، يذكرون أيامنا ولم

ينسونا..

بذات هشاشة...

يوم انقلبت صلابتي رأسا على عقب

وتقهقرت شجاعتي، وانزويت بين حيطان الهزيمة

لم أجد سلوانا لي..

كل كلم الدنيا لم تفلح في مواساتي

لا أنكر هبة الأصدقاء لاحتوائي، ولا سؤال الأحبة عن ما آلت إليه أحوالي

ليس من شيمي النّكران، ولست أنسى بتلك البساطة..

قد أنسى محفظة أوراقي في الحافلة

قد أنسى أحداث قصة روتها صديقتي على مسمعي في قلة تركيز مني

قد أنسى عيد ميلادي ولا أذكره إلّا بعد أيّام..

وأنسى توصيات أمّي بأن لا أتعب نفسي فأتعبها

لكن أبدا لا أنسى يدًا ربتت على كتفي بذات احتياج

لا أنسى قصة بكيت فيها دم قلبي بدل دموع عيناي

ولا أصدقاء طوت صفحتهم الأيّام، وظلت ذكراهم تستوطن المكان..

أبدا لا أنسى كلمة خدشت روحي وإن تناسيت

يوم ذاك عرفت أنه لا خيار لي إلّا أن أعود لماهيتي

وعرفت أن طريق العودة لن يكون سهلا البتّة..

وأنّــه سيكون شاقا بقدر البؤس والضّعف اللذان استوطنا حيلتي

وبالفعل كان ذلك..

كلما أردت أن أقف كنت أسقط أكثر

وكلّما أردت أن أقوى كنت أضعف

أدركت أن الأمر لن يكون هكذا بالمغالبة..

وأنّني لابد أن أستسلم للقدر وأتركه يكتب مقاديره على الأقل تلك الفترة

وكذلك فعلت ..

استسلمت للأيام وهي تمر تواليا وكنت أنا أرتّـب النّقاط وأضع كلّا منها على حرفه..

أبتغي بذلك ترميما لذاتي المحطمة، وأشقّ لأجل ذلك سبلا كثر

بدأت بمداراة الدمع وتخفيف انهماره

ثم ضاعفت من صلابة ركبتيّ لأدرك التّـوازن..

وكان الأصعب هو التّـحكم في ارتجاف داخلي

كان ذلك أصعبهم وكانت تلك عقبتي بالفعل

كنت أضع كفي مكان نبض الشريان الجامح

وأضع الآخر على رقبتي أتحسّس حبل الوريد وكلّي أمل بالله..

كنت بذلك أتحسس الحياة لدي

كم كان ذلك صعبا..

أن تكون على مقربة من الموت، وأنت تتشبث بطرف حياة..

بطرف نبض..

بطرف شعاع يوقع أنك لا تزال من الأحياء

لم أكن متأكدة من نجاحي مع ذلك كنت أحاول

أحاول في كل مرة، وكلّ انزلاق إلى المنحدر الذي لا قرار له

كنت أحاول لأعود النفس التي كنتها وكانوا يتغنون بصلابتها

كنت صلبة قاسية وفي لحظة فضحت هشاشتي..

لكم كنت متعبة حقّا

بيد أن الجبل الذي يتحمل ويتحمل يأتي عليه يوم يخرّ راكعا من هول الأحمال

بت ليالٍ أرتجف وكنت أعلم أنّــه لا دخل لبرودة الطقس بحالي تلك

كان داخلي الذي يرتجف وكنت جدّ خائفة..

أتدري معنى أن تكون خائفا بغير فيلم رعب، وغير شبح ولا قصة من ذاك؟

أن تخاف هواجسك؟ أن تخاف اللاشيء؟

كنت خائفة حدّ الرّعب..

حدّ الارتجاف؟

خائفة كنت من الانهزام

من الانهيار..

صعب كان حتى التّــفكير..

لكم كان شاقا أن أستجمع فكرة واحدة وقتذاك

أن أبوح بكلمة واحدة

وأن أعود قوية وقتذاك..

على مشارف تشرين...

لم أطلب الاهتمام يوما..

كنت مهتمة بنفسي ولم أتركها للتّسوّل أبدا

كنت مهتمة بتفوّقي..

لم أهتم يوما لنظرة الآخرين مع ذلك اهتممت بصورتي، وكيف يجب أن أظهر للعيان

ليس شكلا وهنداما بل على العكس صورتي كشخص، كإنسانة..

عشت كلّ التّـفاصيل الصّغيرة لنفسي

سطّرت أحلامي وكتبت موهبتي، وحاولت النّجاح دوما

بنيت صداقات حقيقية وعشت أياما دافئة رغم كلّ شيء

لم أنتظر معروفا من أحد بل كنت سباقة لفعله دونما مقابل من أحد أيضا

كنت منشغلة بصقلي وكم كنت أقدّر تلك النّجاحات الصّغيرة التي فعلتها طوال سنوني

اكتفيت بذاتي دوما وكنت فخورة بي حقا

الآن وككلّ مرّة أقوم لأكتب حين يستسلم الجميع لهدوء الليل، ويستسلم أمثالي لضجيجه

حين يضع الكل رأسه ليغفو، وأضعه لتبدأ عجلة التفكير

أسترجع شريط حياتي السّـابقة..

لحظات ضعفي، تعبي، انتصاراتي الصغيرة التي بالكاد تحكى وسط الجمع، والتي أظاهر بها أمام نفسي..

ثقتي تلك التي اهتزت مرات عديدة ونجاحي في إعادة كسبها مرات أخرى

جهاد النّفس الذي أحاول التغلّب فيه

تحدياتي البسيطة ويقيني الدائم بتدبير الإله

وها هي ذي أنا الآن، وككلّ ليلة مما سبق أغالب التّفكير

وأهيّئ نفسي ليوم روتينيّ آخرٍ..

رثاء المحبّين..

لم أكن يوما جدولا هادئا سيله

كنت دوما شلالا متدفقا ماؤه

كنت شمسا بنيسان تسطع

ضحكاتي إشراقة بعد كل يوم غائم ممطر

عاشقة الربيع، محبة الجميع..

كذلك كنت، فتاة أقرب للجنون بعفويتها

لا آبه للقول والأنام

داخلي هو عالمي وواقعي مدينة السّلام كان

ماذا فعل لقياك بي؟

ماذا فعلت رسائلك بحبري؟

لم أكتب يوما لإنسيّ..

رثيت خالي في قصائد شعرية، وكان ذلك أولى عهدي بالفقد والكتابة

حنقت على الواقع في نصوص أدبية

بكيت حكايات العباد وبمزيج من الدّمع نسجت على الورق أصدق

الكلمات

بكيت الحياة وبؤسها وكتبت

كتبت نعم، لكن يوما لم أكتب لإنسيّ..

الآن أنت ملهمي، بثّ دافعي ونبض قلمي

تتجلى رؤياك أمام ناظري فأكتب

تبتسم فأكتب

تشرد فأكتب

تضحك، تهمس، تصمت، تغازل فصاحة حرفي فأكتب..

اليوم ترحل فأكتب..

بقايا طفلة على أبواب عام آخر...

لم أكبر بالسّنين

كبرت بالمواقف، بالعقبات، بالوجع وشلّال الدّموع

لم أعد تلك الطفلة التي يفرحها ركوب الدراجة

صرت أمر بمحاذاتها ولا أرمقها بطرف عين

مجتمعي لا تروقه هذه الهواية لي - كطفلة كبرت -

القصص الخيالية التي كنت أستمتع بسماعها أمام المدفأة في ليلة

قارص بردها..

سرب الحمام الذي كنت أقفز أمامه في وسط المدينة

جلسات التصوير التي كنت أعقدها على حين غرة

الورد الذي كنت أحتفظ به داخل الدفاتر

قطع الحلوى بألوانها

عفويتي وطفولة روحي

هذا العالم بمرارته غطى على حلاوة كل ذاك

فلم يعد يغريني أي منها..

لم أعد أصدق كل الذي يقال على مسمعي

صرت أتوجس من كل كلم وكل فعل

غابت عنّي تلك البراءة رويدا مع توالي الأيام والأقاويل..

فلم أعد آمن..

تركت العتاب واللوم، وانتظار الأفضل

وتركت القتال أيضا..

مع أنني لم أشبع طعم النجاح يوما لكنني تركته

فقط أقاتل لأجل قلبي

لأحافظ على طهارته من الدنس الذي يعم هذا العالم الموحش

ولأبقي على شغفي وبعضا ممّا أحب..

صار الإفلات لا يهمّني

أحكمت قبضتي أكثر مما ينبغي حتى ارتسمت أخاديد الدم على كفي

من قوة الإحكام

ولم يكن كافٍ

فعلام القبضة وعلام الإحكام؟

لم أعد أكترث للكلّ

أطمح للقليل من كل شيء

القليل من الأشخاص

القليل من الأحلام

القليل من الدّموع

والكثير من الهدوء والموسيقى..

الكثير من الطمأنينة والسّلام

سلامي الداخلي بات سقف توقعي

وما دون ذلك يأتي تحته..

حين كتبت...

حين كتبت..

كان الجميع يسألني عن سر الحزن الذي يغلف كلماتي

كان الجميع يخبرني في رسائل صماء كم أبدو بائسة حين أكتب

لطالما بسطت سعادتي بين أيدي أحبائي

لطالما شاركت فرحتي مع الآخرين

على مرأى الجميع أطلقت العنان لضحكاتي

وعلى مسمعهم غردت ترانيمي

ورسمت بالألوان زهوي وأجمل أيامي

وحدها لحظاتي الحزينة خبأتها

وحده قلبي تجرع مرارتها..

وحدي وأنفاسي استشعرناها وتقاسمناها

وحدها تعاستي كتبتها

ولماذا عساي أجاهر بها؟

يوم فعلت لم ألق أذنا تسمع ولا كتفا يسند

يوم فعلت كان الوجع وجعين؛

وجع القلب ووجع الوحدة..

يوم ذاك أقسمت بصلابتي أن أعتكف في دائرتي أداري الوجعين..

هكذا انكمشت على شجني

وهكذا عزيتني

وهذا كان عذري لقلمي..

وشاء الوجع...

بعد آخر مرة غادرت فيها المكان عدت مجددا

بكثير من الألم، بكثير من الحنين، بكثير من الوحشة

كنت قد قلت في قرارة نفسي لن أستطيع، لن أتحمّل..

كنت قد قلت لن أعود وأحطّ قدمي هناك مرة أخرى

لكن قادني إليه الشوق واقتادتني ساق الولع ووقفت هناك مجددا

ووقفت عند قبرك مجددا..

لا أدري لماذا ينتابني شعور أنّك لست هنا، ولا تغطيك كمّ الأتربة هذه..

أنك لست جثة ترقد داخل هذا المربع المتري

باردة هي مشاعري حين أود التصديق بموتك، باردة أنا في التسليم برحيلك

أقرأ كلمات الفاتحة بغير خشوع، أقرأ برياء كونها عادة ألفنا ممارستها على أرواح الموتى

أتمتم بدعوات بالكاد أرفعها، أمسح بعدها بكفي على وجهي وأعود لأتأمّل القبر

قطعا أنت لست هنا..

قطعا أنت لم تذهبي وأنا المتأكدة من ذلك الحاضرة لسكرات موتك..

قطعا أنك كنت نائمة فقط داخل ذلك النعش

وأنك اخترت المضي طوعا مع أولئك الرجال، وستعودين طوعا بعدهم بقليل لكن تأخرت كثيرا

أعود أدراجي لأقف عند ذلك الباب مجددا، لأقف في ذلك الفناء

كلّ في مكانه لايزال قابعا كما تركته

وحدك أنت الغائبة، ذلك الدّرج لم يعد يحمل وقع قدماي لأصل إليك

تلك الغرفة باتت خاوية على ما فيها، درج الحلوى لم يعد يشبع شهيتنا، بتنا جوعى في غيابك

غاب الجود من بعدك يا من دعا الخلق بجودك، هذا المكان بات موحشا وبت عنه غريبة من بعدك

هو القدر أدرك، لكنها نار الاشتياق..

كنت مقصرة في حقك واليوم أبكيك ملء جفنيّ، أدعو لك وأتصدق عنك علني أكفر عن تقصيري

هكذا نحن البشر، نكتشف الحب بعد فقده فنحب أكثر، ونشتاق أكثر ونتألّم أكثر..

ونبكيه أكثر ونطمع أن نوفيه في الموت ما لم نوفه في الحياة

هي ذي نسبية الحبّ، مهما وفّيته حقه تبقى مقصرا وهكذا حتى تفقده، وهكذا حتى فقدتك..

" في غيابك يمسح الكل على رأسي بشفقة

وحدهم عرفوا أنني يتيمة دونك، ووحدي عرفت كم هو مؤلم أن تكون صدقة جارية"

لأخبرك سرّا..

لم أعهد المكان في بعدك ولم أستسغه البتة ولذلك نكرته، ونكرت كل تراب يحمل بصمة أناملك..

وكل جدار يخبئ ضحكاتك، والرّف الذي يطوي تركاتك

والنّافذة، وأوراق الكرم، وخضرة الطحالب والماء المتدفّق

نكرت الوادي وأشجار الزيتون والزرابي المفروشة

نكرت وجود الأشياء في غيابك وكرهت العودة والنّظرة الأخيرة..

فقط عطرك باقٍ، أشتمّك حين يفعل بي الشوق فعلته، أشتمك لأخنق شهقة تتضاخم في الحلق

أشتمك لأهدئ من روع طفلة عايشت هول سكرات موتك

لأهدئ من روع طفلتك يا قطعة من قلبي

أرش به على قميصي لأواسي قلبا في غيابك قد من دبر...

وكانت آملة...

لم تكن قوية بالقدر الذي تبدو عليه

كانت هشّة، هشّة حدّ الانكسار

كانت كومة مشاعر متراكمة، كراكيب أوجاع خلفتها الأيّام..

وكانت مع ذلك تحلم

تحلم أن تزف يوما عروسا للفرح

بجناحي ملاك وخفة فراشة في إحدى ليالي نيسان

ترسم بريشتها قلبا خال من الثقوب، وروحا تعجّ بالألوان

كانت متشبعة بالأماني ترسو قواربها عند حدود الأمان

كانت صغيرة تغفو على وقع أغنية لم تحفظ منها غير سطرها الأوّل

صدرها وعجزها، تدندن حتى تنام..

كانت مكتفية، قلبها هو رصيدها الخام

وكانت مع ذلك خائفة، خائفة حدّ البكاء..

تتكور على نفسها كل ليل، تهدّئها، تربّت عليها وتدندن لها

تطمئن الطفلة داخلها..

تستقبل الحلم باسمة وتلج عالمها، في يدها ريشتها وألوانها لتكمل

رسمتها..

صورة مشوهة، باهتة، يغزو الحزن مقلتيها
تتأمل الشّفق في أمل علّ بعد الغروب تشرق
كانت مع كل ذاك آملة..

على قيد الفرح...

ديسمبر آخرٌ يجمع آخرَ ما بقي منه في صمت

ويقف على عتبات نهاية السّنة

أراه يلوح لي بملامح عابسة

يَهّمُ على عجل مغادرًا وهو يحمل بين يديه خيباتٍ لا تحصى..

وأوجاعًا اِستنزفت كلَّ ذرات الصبر..

ها هو يرحلُ مبتعدًا

ويقتلُ في هذه اللحظات آخر أمل لي في أن تعود يا غائبي

سنة كاملة مضت

شتاء آخر مرَّ عليّ دونك

وأنا لا أزال كما أنا مثلما تركتني لا أبرحُ مكاني..

أحاول التعودَ على غيابك

أصارعُ الحنينَ عَلَّنِي أقتنعُ بفقدانك

أعقد التحالفَ مع النسيان لكي أتخطاك

ما زلت أسأل نفسي كل يوم

"كيف أمكنك إنهاء كل ما كان بيننا والرّحيل بمنتهى البرود"؟!

يا غائبا كن مطمئنا جِدًا فبعدك لم أمت..

لم أقطع شراييني ولم أنتحر..

أبدًا.. فقلبي مازال ينبض بين ضلوعي

ما زلت أتنفس، آكل، أمشي، أقرأ..

ألتقي بالأصدقاء وأمارس طقوس حماقاتي

مازلت أتذمّر من المواصلات، ومن زحمة السّير

ما زلت ذات القلب الطفولي..

ينتظر هطول الثلج ويعشق دبّ الباندا

ومازالت قطعة الشوكولاطة السوداء قادرة على تعديل مزاجي..

مازلت أجوب شوارع المدينة في الأيّام الماطرة

وأفتش عنك بين ملامح العابرين

هي ذي حقيقتي، بعدك لم أمت بل لازلت على قيد الحياة

لكنني أبدا لم أعد على قيد الفرح...

لا تطلب الإذن...

لا تطلب الإذن كي تُراقصني

فقط هات يدك وإلى حضنك اسحبني..

ولا تأخذ موعدا كي تلقاني بل فاجئني ذات مساء تحت شرفتي

ولا تتحين الفرص لتهديني وردة

بل ازرع بستان ورود خلف منزلي..

ولا تجلس تندب حظك إن رفضتك يوما

بل تعال على صهوة حصان أبيض واخطفني

فوحدهم الشجعان من يضفرون بالحب..

أما الجبناء الذين يخشون منازلة العشق

فمحكوم عليهم أن يبقوا أسرى الإعجاب إلى الأبد..

سوسة خطرة...

أتعلم حقا ما يفعله بنا التعَّلق ؟!

أو تدري إلى أي مدى نقامر بأنفسنا ونجازف فيه بمشاعرنا،

دون أن نضع في الحسبان احتمال أن يكون قاتلا؟

أبدا لا تغرّك البساطة في الموضوع..

ولا تجعل استسهال الأمر يودي بك إلى قاع الخيبات

التعلّق أشبه بتلك السوسة التي تنخر جدع النّخلة على مهل..

حتى تجد أن تلك النخلة الشامخة التي بالأمس كانت تعانق عنان

السماء أضحت أعجازًا خاوية تطيح بها أي ريح عابرة..

فبعيدا عن كونه ارتباطا عاطفيا وثيقا لا يمكن لك أن تنكر أنّه عند

تعلّقك بأحدهم تكون قد رهنت حياتكَ بين يديه

ونصّبته مسؤولا عن إعدادات حالتكَ المزاجية

الصباحاتُ لا تبدأ إلا بصباح الخير منه..

ولا يحلو لك النوم إلا بعد أن يتمنى لك ليلة سعيدة

فتُفْرِطُ بذلك في تعظيمه، وتفرّطُ في حب ذاتك إلى حد تُسْتنزَف فيه

كيْنونُتك..

وتصبح هشًّا يفتكُ بك مجرد الرفض منه

ويكسرك البعد عنه إلى شظايا متناثرة سيصعب على أي كان لمّ شملها

لاحقا...

صرت شبحا...

للأسف الآن فقط أدركت أن أهمية الإنسان تكمن في شكله

حتّى أنّ الشكل صار اليوم هو المعيار الأوحد الذي يحدد هوية الفرد

الآن فقط بتُّ أعي أنّ أ فكاري عن جوهر الشخص وقناعاته ومشاعره

ما هي إلا أفكار بالية أكل عليها الدهر وشرب..

أما قناعاتي الساذجة التي تتغنى بالمحبة الصادقة والتفاني

والتضحية في سبيل من نحب ولأجل ما نحب

فقد صرت على يقين أنها لا تصلح لأي شيء

عدا أن توضع في أحد المتاحف الوطنية

رفقة القطع الأثرية التي تنتمي للأزمنة الغابرة ..

صدقا لست عاتبة على أحد بقدر ما أنا أنزف خيبة على حالي..

لست سوى تلك الفتاة التي آمنت ذات يوم أن المشاعر أثمن بكثير من

كل ما هو مادي

أنّ الروح أرقى بمراحل من الجسد الفاني

أن أفكار الإنسان هي إرثه الحقيقي الذي يتركه لمن يأتون من بعده..

وأن مبادئه هي عرضه وشرفه؛

فالرجل بلا مبادئ ليس أكثر من مجرد عديم شرف

هكذا عشت بين النّاس لأكثر من ربع قرن..

معتقدة أنني سأشرق بينهم بنور روحي

لم أتخيّل أن عيون البشر بصر بلا بصيرة

لا تلتفت إلّا لكل مادي مبهرج وأن أيديهم لا تمتد إلى ثمين لامع

لم أتوقع أن تكون نهايتي مأساوية لهذه الدرجة..

وأن حلمي في أن أكون روحا قبل أن أكون جسدا

اغتاله تفكيرهم السطحي المحدود

فأضحيت بذلك مجرد شبح غير مرئي

وجوده أو عدمه ليس بالعلامة الفارقة...

أبحث عن نفسي...

قبلكَ لم أكن سوى فتاة حالمة تبحث عن الحب..

أما الآن وفي هذه الأثناء وبينما أنت تجلس قُبالتي

تمسك بيدي ونحن نتبادل نظرات مبهمة وابتسامات بلهاء

نتصنع بها تعابير الرضا والفرح..

وجدتني لا أشعر بالحب اتجاهك بل على النقيض تماما

شعرت بالغربة معك..

ولأوّل مرّة أحسست أنك شيء لا يخصني وأنني لا أنتمي إليك

فحضنك لم يعد مكاني وذراعيك ما عادت حدود وطني..

لأوّل مرّة وجدتني أنفر منك

وأمقت كل ذكرى جمعتنا

ولا أرغب سوى في الهروب بعيدا..

حيث لا أراك ولا أتعثر بك

لا أعلم لماذا بدوت لي الآن ذميما جدًا رغم وسامتك

ولئيما رغم بريق البراءة في عينيك

كما لو أن تعويذة سحرية ألقيت عليك فأبطلت مفعول عشقي وافتتاني

بك..

وحولتك فجأة من أمير القصة الشجاع إلى ذلك الذئب الجائع..

كنت هنا جالسة بقربك لا أنبس ببنت شفة..

بينما في داخلي امرأة يائسة تصرخ: ألم تدرك بعد مدى بؤسي؟!

ألم تلتمس العجز في خضوعي؟! والوجع في صمتي؟!

ألا تزال تنكر أنك السبب في هذه النكسة العاطفية؟!

لا تحاول عبثا فوحدك المتهم هنا

وكل الأدلة تشير إلى أنك من ارتكب الجريمة..

لا أحد سواك مسؤول عن حالتي

أنت من جعلتني قربانا لخيباتك..

كنت أغرق لما حاولت انتشالك من قعر الفشل

كنت انطفئ وأنا أحرق روحي لكي أنير عتمتك..

كنت أنا القربان لنجاتك ولم أعِ أنك نذل ستهرول لردمي عميقا تحت ركام التعاسة..

بل وستبني قلاعك من حطامي

وتشيّد مجدك على أنقاضي..

لم أتخيل حتى في أسوأ كوابيسي أنك قد تدوس على قلبي لتعبر من ظلامك إلى النور..

كنت قبلك أبحث عن الحبّ

لكنّني حين عثرت عليك أضحيت أبحث عن نفسي...

شبح الذكريات...

ظننت أنّه بمجرّد أن تعود سيعود معك كلّ شيء لسابق عهده..

ستعودُ لي بهجتي الضائعة وأحلامي المفقودة

ستعود لحياتي ألوانها ولصوتي أشجانه..

وسيحل الربيع في قلبي بعد شتاء الوحدة القاسي..

ولكن على العكس

لم تعد نظراتك تسحرني،

ولا ابتسامتك تغويني

ولا عطرك يغريني

حتى همساتك لم تعد تحدث حالة الطوارئ بكياني..

ذلك لأن القطيعة التي استمرت بيننا مدة طويلة من الزمن

كانت شرخا كبيرا من الوجع وصدعا هائلا من الخيبة

جعلتنا ندور كالحمقى في دوائر الانتظار

حتى أضحينا لقمة سائغة بين براثن الغياب الذي تمكن منا بكل براعة

حينما استنزف منا كل الأحاسيس..

واستهلك كل طاقة كنا نذخرها للبدء من جديد..

أضحينا مفلسي مشاعر

كما لو أننا في لحظات الخصام قتلنا كل جميل كان يربطنا..

وفقدنا بذلك لهفة اللقاء وحميمية الوصال

حتى صار القُرب فاترًا والكلام بيننا شاحبا

أمّـا الحبّ فقد أصبح مجرد شبح للذكريات..

أنت تناقضاتي...

أنا متأكدة تماما من أنّني لا أحبّك..

أعرف هذا جيدا لأنّني لا أغار عليك إطلاقا من أيّة امرأة أخرى..

ولا أكترث بتاتا إن كانت لك حبيبة تواعدها أو خطيبة تعشقها

أو حتى إن تزوجت..

فلا أعتقد أن هذا سيكون كارثة عظمى في حياتي..

ولكن مع أنني لا أبالي لكل ما سبق لازلت لا أفهم

إن كنت حقا لا أحبّك لماذا أحس بالضياع إن طال غيابك عني؛

وكأن هذا العالم من دونك مجرد أطلال خالية؟

لماذا ترعبني فكرة أنني قد أفقدك ذات يوم؟

وكأنه ليس لي عزيزا سواك؟

وغيرها من الأسئلة التي لا أجوبة لها..

كل هذه المشاعر المتناقضة والمتشابكة وغير المفهومة تكاد تكتم على

أنفاسي..

وتكدر على حياتي وتدفعني للتأمل والتساؤل

هل أنا مريضة بوهم كبير أم تراني في الطريق إلى الجنون بك؟

نوبة حنين...

الجميع من حولي كانوا سعداء يتهامسون ويضحكون

وحدي من كنت غارقة في عالم مظلم من الأفكار والوحدة

لم أجد تفسيرا لما كان يحدث معي

ولم أفهم ما الذي أصابني حينها سوى أنني أفتقدك بشدة..

أردت أن أصرخ بأعلى صوتي "ليتك هنا"

كانت عيني على الباب طوال الوقت..

وددت لو أنك تأتي وتسحبني خارج هذا الحفل الذي لا يعني لي شيئا

وبعدها تضمني إلى صدرك بكل ما أوتيت من قوة هامسا بأذني:

"أنا معك وسأبقى كذلك دائما"

انتهى الحفل، وافترق المحتفلون..

وبقيت أنا كما أنا أراقب الفرح في أعين الآخرين ولا أشعر به..

أكتب عن الحب ولا أعيشه

أحلم بك يا حبيبي ولا أطالك..

اعتراف رجل هزمه الحب...

تسأليني لماذا ابتعدت؟

لماذا قطعت كل السُّبل التي من الممكن أنْ تجمع بيننا؟

وبكل إصرار تلحين على ذلك!!

دعيني أحذرك سلفا أنَّ الإجابة لن تعجبك وأبدا لن ترضيك..

اِعلمي يا حلوتي أنَّني لم أتخلَّ عنك..

أنا فقط كنت أحاول أن أنقذ نفسي منك..

من سطوتك على فكري، ومن تملكك لمشاعري

أدرك جيدا أنَّ غيابي كان موجعا وأنَّ القطيعة التي دامت أشهرًا بيننا قاتلة..

فقط اعلمي أنّني لم أكن أعيش في الجنة حال بعدك..

فمثلك كنت أتجرع وجع الفراق ليلا نهارا

وسكِّينُ القطيعة كانت تذبحني في اليوم ألف مرة

طيلة أشهر دخلت مع نفسي معركة النِّسيان

أجازف بأن ألقى حذفي أو أخرج مجنونا بهوى الأوهام..

هكذا مضيت أخوض حربا ضروسا لكبح انجذابي الرهيب نحوك

امرأة مثلك تفيض رقة أنثويّة وتجيد فنَّ الدّلع

وحدها استطاعت أن تلوع الشيطان الذي يسكنني في كل مناسبة تجمعنا..

فتاة ذات براءة طفولية أقرب إلى الملاكِ منها إلى البشر

تجعلني أخجل أمام طهرها ونقائها..

كل ما فيك كان يجذبني، وكل ما فيّ كان يرعبني

فصرت أخشى منك على نفسي بقدر ما خشيت عليك من نفسي..

كنت لعوبًا وبطل العلاقات العابرة

زير نساء، وعربيد ملاهٍ..

كازانوفا العصر الحديث

هكذا كان يروق لك أن تناديني..

وعلى الرغم من أنّني كنت أستحقّ اللّقب، فسماعه منك كان اِتهاما

ضمنيا بأنّني غير جدير بعفتّك..

دعيني أعترف أنني اخترت الفراق مجبرا

فالحب بيننا كحرب لا ناجي منها..

سيموت كل طرف وهو يعتقد أنه ينقذ الآخر...

رجل لا تتّسع له الدفاتر...

قبل أيام كنت عازمة على ألا أعود للكتابة ثانية

حاولت بكل ما أوتيت من إصرار الهروب من مملكة الورق..

لكنني في نهاية المطاف فشلت

ذلك أن في الحياة أشياء مقدرة علينا لا يجدي الهروب معها..

ومع الكتابة الأمر أشبه بالمستحيل؛

فهي ملامح الكاتب التي لا يمكنه الانسلاخ منها..

وهمساته التي لا يستطيع التنكر لها

بل نستطيع أن نجزم أنها نبضاته التي تحييه

هكذا ودونما مقدمات وجدتني هنا مجددًا

أحمل قلمي الأسود

وأتخذ وضعية المبارز معلنة الحرب على هذه الأوراق البيضاء في

أعنف ما تكون المعارك

أحاول للمرة الألف بعد المليون أن أكتبك..

وأشحذ كل حروف اللغة لأتعلم معك الحبّ

وأجنّد كلّ العبارات كي أحتويك بين أحضان الدفاتر

لكنني في نهاية المطاف لم أفلح..

وكطفلة في الروضة تجهل حروف الهجاء عجزت أن أخط حرفا واحدا..

أيعقل أن الكلمات هكذا فجأة خانتني أم أنك ببساطة رجل لا تتسع له الدفاتر؟

أم أنني أفرطت كثيرا في حبك حتى أصبحت أنت أنا..

فكيف أكتب نفسي؟ وأتغزل بذاتي؟ وأعاتب روحي؟

وإلى أن يأتي ذلك اليوم الذي أمتلك فيه الجرأة لأجعل منك كائنا حبريا..

ستبقى أحرفي تتراقص أمامك دون أن تلمسك

وستبقى مشاعري سهاما تمر بجانبك دون أن تصيبك...

حوار مع صديق (الهروب)..

- هو: إلى أين؟

- هي: إلى عالم الذكريات..

- هو: أتهربين من الواقع؟!

- هي: بل أذهب إلى حيث أنتمي..

- هو: أولا تنتمين إلى هذا العالم؟!

- هي: كلا، فلا أحد هنا يشبهني..

- هو: وما الذي يزعجك في ذلك؟!

- هي: أخاف أن أصبح لونا باهتا في لوحة الأيام..

-هو: اللوحة ليست ألوانا فقط وإنما هي شكل وموضوع وإطار

- هي: لكنها في النهاية ليست سوى تلك القطعة المستطيلة المعلقة على الجدار دون حول أو قوة..

- هو: القوّة لا تنبع دائما من أفعالك، بل من وعيك لجوهرك وما أنت عليه، فالألماسة مثلا ليست مطالبة بالحركة لتصبح ثمينة بل مجرد كونها ألماسة في ذاته هو ما يعطيها قيمة ويجعلها باهظة الثمن..

- هي: أعتقد أننا نقيم الموضوع من منظورين مختلفين، قيمة الشيء ستسقط أمام منفعته في اللحظات الحاسمة، فلا أعتقد أن الغريق في عرض البحر يمسك بالألماسة النادرة بقدر ما سيتشبث بطوق نجاة

مطاطي رخيص..

- هو: تفعلين هذا دائما، تضعينني في زاوية يصعب عليّ الرّد منها..

- هي: لست أفضل حالا منك، فتفكيري لطالما كان يغوص بي إلى أغوار الأسئلة العميقة التي من الصعب الإجابة عنها..

- هو: إذن توقفي عن التفكير قليلا، وانتظري الأيام لعلها تأتي وفي جعبتها كل جديد

- هي: متفائل جدا أنت، الجديد الذي تتحدث عنه ليس سوى أحداث عابثة وثرثرات مضجرة، وأشخاص عابرين كالأطياف بالكاد نلمحهم..

- هو: عجزت عن فهمك بعد كل هذا، ما الذي تريدينه إذا؟

- هي: الهروب كما أخبرتك، والآن دعني أذهب فقد آن الرّحيل..

بين امرأتين...

لم تكن تخيفني كثرة مغامراته العاطفية

ولم أكن أكترث للعابرات في حياته..

ذلك أنني على دراية أن كل فتاة يواعدها ما هي إلا نزوة عابرة..

مآلها النسيان حالما يفقد الشغف بها

كان رجلا ذو كبرياء نرجسي، غروره يأتي قبل كل شيء..

وفي نظر رجل مثله العلاقات الغرامية ما هي إلا فتوحات كبرى في ممالك النّساء

وبرهان دامغ على أنه آدم الذي لا تقاوم سحره حواء..

والقلوب التي يستوطنها لم تكن سوى موانئ يرسو عندها لحظات

ليستأنف بعدها رحلته بحثا عن المتع المؤقتة..

أما أنا فمنذ البداية كنت خارج خارطة نسائه

كنت أقف عند عتبات الصداقة..

كان صديقي وكنت مستشاره في حروبه

والشاهد الوحيد على كل جرائمه..

ورغم هذا كنت أحبه..

ورغم كل شيء كنت أنتظره ..

أعيش على أمل أن يطرق بابي ذات يوم

أن يقول أنه منهك من كل المعارك، ومحتاج لأن يعيش بسلام بين أحضاني..

دفعت سنوات من عمري في الانتظار..

وفي النّهاية لم يأت ليشتكي من نار حبّي..

بل جاء ليقص علي أنباء عشقه لامرأة أخرى

اعتقدت أن الأمر انتهى..

وأنه آن الأوان لأميت مشاعري، وأنصب منصة إعدام حبي اليتيم..

وأكون هذه المرة سيدة القرار..

لم أستطع الخروج من حياته

كما لم أقدر على إخراجه من حياتي التي كانت متشبعة إلى أبعد حد بكل تفاصيله..

لم أفلح في قتل أحلامي الغبية بينما هو يغذّيها كل يوم باهتمامه بي..

بسؤاله وبحثه عني كل لحظة..

كل ذلك جعلني عاجزة عن فهمه..

فإن كان مد بكامل إرادته يمناه للحب لماذا إذا يتشبث بشماله بالصداقة؟

وعلى النقيض من السؤال المعقد جاء الجواب في غاية البساطة..

يفعل كل ذلك لأنه رجل..

رجل وإن أحب واحدة فإنه يحتاج لأخرى..

وما بين حب واحتياج ظل يتأرجح بين امرأتين..

امرأة تكسره وأخرى تلملم أجزاءه بعد كل انكسار..

امرأة تبكيه وأخرى يبكي فوق ذراعيها

امرأة يشتاقها وأخرى يذيقها لوعة الشوق ..

امرأة يرسمها وتكون لوحته الفنية، وأخرى تنظف المرسم وتعلق اللّوحات

امرأة يرتشف صوتها في فنجان القهوة وأخرى تعد له فطور الصباح..

امرأة تكون شمسه وأخرى تظله حين تحرقه

امرأة تكون شيطانه الذي يقترف معه أبشع الخطايا..

وأخرى تكون القسيس الذي يطمئنه أنه خال من الذنوب بعد الاعتراف..

هكذا كان الوضع..

وهكذا شاء القدر أن أكون أنا المرأة الأخرى في قصة مجنونة

ينعم فيها هو بالعيش بين قلبين وأشقى أنا بحب يجزئني نصفين

ويقسمني إلى امرأتين..

واحدة تبيع الدنيا لتكون معه وثانية تدفع نصف عمرها لكي تنساه..

حين يتكلم الصّمت...

لطالما كنا بحاجة ماسة إلى الصّمت في حياتنا..

بغض النّظر عن الظروف التي نواجهها

دائما ما كان الصمت واحد، وكانت الأسباب دوما كثيرة..

قد نصمت لأن ما نعايشه أكبر من أن يقال

تخوننا اللغة والألفاظ في التعبير عن أنفسنا كما يجب

فنتوه في دوامة الحروف، ونحتاج صمتا ريثما نجد طريق الخروج..

أو نفعل ذلك بغية كتمان مشاعر دفينة نخشى أن تفضحها الكلمات في لحظات الضعف

وقد نصمت لأننا ببساطة تعبنا..

تعبنا من العواصف الهوجاء التي عصفت بأرواحنا

واستهلكت كل ما فينا من طاقة فما عاد بمقدورنا البوح

لا يعد الصمت مشكلة لنا بقدر ما تربكنا معانيه..

فكيف لنا أن ننصت للآخر حين يتكلم الصمت؟

وكيف لنا أن نخبر الآخرين أننا بخير دون إصدار أي صوت؟

ليتنا نجد من يعلمنا فك شيفرته

ويلقننا كيفية ترجمته لإحدى لغات البشر..

امرأة تمقتها...

لست كباقي النّساء..

لا أشبه حبيبتكَ السابقة

ولا صديقتكَ الخائنة..

ولا خطيبتكَ التي تركتك في منتصفِ الطريق

ولا أوّل بنتٍ أحببتها، ولا آخر ساقطة تسليتَ بها..

ولا حتى تلك التي تستوطنك ورغمًا عن أنفِ الكبرياءِ تعجز عن نسيانها..

لست مثلَ أيْ فتاةٍ قابلتها..

وأبدًا لنْ أكونَ صورة لأي حواء عرفتها

فأنا الإصدار الأول منّي، والنسخة الوحيدة المتوفرة لك هنا

وأنا الصّفحة الأخيرة في كتب النّساء التي لن يحكى عن امرأة بعدها..

أنا القطعة المفقودة التي لن تكتمل إلا بها

والفاكهة المحرمة التي تتوق لتذوّقها

والأرض التي ليس مقدّرا لك أن تدوسها..

وكنجمة ليل أدهم مهما مددت أذرعك محال لك أن تطالها..

أما في الحب فأنا أدرك أنني أسطورة غابرة..

تعود لزمن سرمدي مبهمة ملامحها

مزعجة، متعبة، معقدة، نرجسية، ومتخبطة..

امرأة سحرها في غرابتها، عطرها، غموضها، والتميز عباءتها

أما عنك.. فما أنت إلا رجل غامر مرارا،

وقرأ تكرارا عن العشق في عيون النساء..

وارتشف من شفاه العذارى خمرة الحب التي لا يرتوي شاربها.

امرأة تثيرك أنوثتها ويحيرك فكرها..

تجذبك ببراءتها ويزعجك تمردها

يدفئك حنانها وتستفزك صلابتها

يطمئنك لينها وتخيفك قوتها

لست كباقي النّساء..

لأنني المرأة الوحيدة رغم هيامك بها ستمقتها..

زمن ساعي البريد...

تراودني دائما تلك الأمنية الغريبة بأن أسافر عبر الزمن إلى الماضي..
إلى أيام لا تشبه أيامنا
حيث عاش أناس أكثر منا حظا
ربما لأنّهم عرفوا الحب حق المعرفة..
وهذا ما يجعلني أسأل نفسي:
ماذا لو أنني ولدت في زمن غير هذا الزمن!
كأن أكون مجرد فتاة بسيطة ولدت في زمن ساعي البريد وصناديق الرسائل..
لربما كنت سأحبك أكثر..
بل ولأمطرك كل صباح برسالة شوق
مع منديل زهري طرزته بأول الحروف من اِسمينا..
ولكنت أهديتني كل مساء وردة جورية
مرفقة بأسطوانة موسيقية سَجلت فيها أغاني تمجد الحب وتذم الغياب..
لربما كنت مررت ببابي لتسأل أحجار الدار عن أحوالي
ولغنّيت تحت نافذتي على سبيل الحنين..
"طال المطال يا حلوة تعالي"
حينها بالتأكيد كنت سألبي نداء العاشقين..
ولسان قلبي يقول: "ومن الشباك لرميلك حالي"

خطوط رفيعة...

في هذا العالم الذي يتشابك بعضه ببعض

نحيا نحن وكل واحد منا يخوض معركته الخاصة في الحياة..

منا من يكافح ليحقق أحلامه..

ومن يبذل جهده ليعيش بكرامة

ومن يكافح فقط ليبقى على قيد الحياة

وفي غمرة انغماسنا هذا تجدنا نغرق ما بين تفاصيل الحياة اليوميّة

وسعينا لتحصيل كل ما هو مادي..

نعجز عن إلقاء نظرة فاحصة على دواخلنا

وننسى أن هناك خط رفيع بين الثقة بالنفس والغرور

بين الكرامة والتكبّر

بين العشق والكره

بين حب النفس والأنانية

خط رفيع بين الطموح والطمع

بين التواضع والخضوع

بين التودد والتملق

بين الدبلوماسية والنّفاق

بين الشجاعة والتهور

بين الانسحاب والاستسلام

بين الطيبة والسّذاجة

بين الجدية والبرود

بين القوة والطغيان..

بين الدفاع عن النفس والتعدي..

بين كل متناقضين تبقى هناك خطوط رفيعة بالكاد ما تكون مرئية

للكثيرين من الناس..

خطوط تفصل المفاهيم عن بعضها البعض..

هذه الحدود الشفافة التي نقطعها في غفلة ودون وعي منا

بأننا في لحظة ما قد انتقلنا من ضفة إلى ضفة أخرى..

انتقال لا ندرك ما قد يكلفنا

فمن المحتمل أن نخسر فيه أحلامنا،

براءتنا، ضمائرنا وقلوبنا..

والأهم من ذلك..

أنه في خضم هذا المعترك الذي نحن محتارون فيه بين أية ضفة

تقودنا إليها أقدامنا منذ البداية

لم ندرك أننا نغامر بفقدان إنسانيتنا..

أحبّـــوا أنفسكم أولا...

أحب الجميع وأتمنى الأفضل للكل

ولكنني أولا وقبل كل شيء أحب نفسي أكثر من أي أحد..

ليس أنانية ولا نرجسية..

فحين أحب نفسي ألومها على خطاياها

وأعاتبها على تصرفاتها

وأواسيها في عثراتها

أحب نفسي بقدر ما تحتاج أي روح أن تحب..

أحبها وأتعامل معها..

كما لو كانت شخصا آخرا أتعايش معه

نتفق ونختلف

نخاف ونشجع بعضنا البعض

ننكسر ونلملم شتاتنا

نقع ونسير معا

أحب نفسي كما لم يحبها أحد..

وأقدرها كما لم يفعل أي مخلوق

وأفتخر بما هي عليه كما لو أنها كانت من عظماء هذا الزمان

لذلك فنصيحة مني..

أحبوا أنفسكم.. حينها لن تكونوا محتاجين لحب أحدهم

بل سيشعر الآخرون أنهم بحاجة لحبكم..

المجد كلّ المجد للنسيان...

الحب لا يمكن أن يتلاشى مهما انقطع الاتصال
ومهما توهّمنا النّسيان..
يكفي فقط أن تعبث بنا صدفة بائسة حتى نجد أنفسنا فجأة أمامه..
نخوض حوارا طويلا دونما كلمات
نعاتب بعضنا البعض
ونتبادل التهم تحت وطأة النظرات الحالمة
لنكتشف بعدها كم كان التجاوز المزعوم هشّا
لدرجة أنه بقي عاجزا عن كبح رجفة التّأثر
وإخفاء علامات الارتباك...
ورغما عنا تشترك قلوبنا ضدنا في مؤامرة الانقلاب على سلطة الكبرياء..
فتنبض بكل فرح راقصة على وقع نوتات الاشتياق
كل ذلك يجعلنا نعود بعجلات الزمن إلى نقطة الصفر..
حيث تأخذنا اللهفة والرغبة للحظة اللقاء الأوّل
وحده عقلنا من يتخذ موقفا معاديا
يقف من منبره متعاليا
يصرخ في الجميع بكل حزم منددا..
فليسقط الحنين، ولتذهب الذكريات إلى الجحيم
والمجد كل المجد للنّسيان...

على قدر الجريمة يكون العقاب...

أكانت جريمتي كبرى للحد الذي جعلك تعاقبني بحرماني منك؟!

عقاب فرضته علي دون محاكمة

دون محكمة، دون قضاة ودون سالف إنذار..

أكانت خطيئة لا تغتفر؟

لأطرد من حياتك دون رحمة

دون أن تترك لي مجالا للتوبة عما اقترفت..

إن كان من الإنصاف القول أنه على قدر المحبة يأتي العتاب

فلابد أن نرضى بأنه على قدر الجريمة يكون العقاب..

لكنك للأسف تطرفت جدا في قسوتك..

وتجاوزت جميع الحدود في ظلمك

ألم يشفع لي عندك ربيع عمري الذي ذبل على يدك؟!

ألم يجعلك كل ذلك تفكر ولو للحظة أنني أمتلك حق النقد؟!

حق الاستئناف؟!

أم أن كل ما فعلته من أجلك كان اللاشيء؟!

ربما كان وجودي أصلا اللاحدث الذي ليس له صدى في ثنايا روحك..

ربما أنا في حد ذاتي كنت اللّاأحد

مجرد ملامح شخص عبر في حياتك ومضى..

هل أخبرك كم آلمني ذلك البعد المفاجئ؟!

ولا يزال يؤلمني..

وربما إلى غد قريب سيظل يؤلمني

هل أخبرك كم كانت الليالي باردة مظلمة قاسية

كما لو كانت شتاء كانون الثاني؟!

واثقة أنك كنت تعلم جيدا أنّه لا شيء يؤلمني بقدر ما يفعله تخليك عني..

وتعرف حق المعرفة كيف أكره أن يتركني أحد..

وأكره شعوري بالوحدة..

لأنك وحدك من استطعت أن تنتشلني من أعماق انعزالي

كيف تعيدني الآن بكل بساطة إلى العتمة

بعدما أريتني النور؟

وكيف تزج بي في قفص الأحزان

بعدما علمتني الرقص على أنغام الفرح؟

الآن دعني أفرغ جرعة من وجعي..

دعني أنتحب على عتبات هواك

وأشتكي للقاسي والداني كم أنك ظالم كغيابك

مجرم كجفائك، وقاس كنرجسيتك

دعني أخبرهم أنني من سقيت عجرفتك بيدي حتى صرت الفرعون

الذي أراه أمامي..

لأنني كنت معك دائما حمقاء بقدر حبّي

عاشقة بقدر جنوني

وبريئة بحجم سذاجتي..

لستُ بخير...

كل شيء أصبح مزعجا

لم تعد صحبة تؤنسي

ولا جمعة تسر خاطري

فالكلام صار مرهقا جدا..

والابتسام أصبح ثقيلا

صدقا ما عدت أقوى على التمثيل بأنني سعيدة كما يخيل للجميع

ما عدت قادرة على كبح ذلك الصوت داخلي الذي يود أن يصرخ مدويا

"أنا لست بخير"

وكيف أكون بخير وفي حياتي فراغ رهيب ينغصها..

كقطعة ناقصة من أحجية تشوه الصورة

وتصعّب التعرف على ملامحها

والمؤسف أنه ليس هناك سبيل لإيجادها

ولا شيء آخر يعوضها..

ذلك الفراغ الذي أتجاهله دائما..

والحقيقة أنني لا أتوقف لحظة عن التّفكير فيه

أو في طريقة تجاوزه وتخطيه..

أنا لست بخير

ولا أحد يشعر بذلك أو يحس..

قوية..

أجل أنا فتاة قوية..

وماذا بعد؟

أليس من حق الأقوياء أن يرتاحوا؟

أن يلتقطوا أنفاسهم بعد معارك طاحنة مع الحياة البائسة..

أن يترجلوا من على صهوة العزيمة التي يمتطونها طوال الوقت..

وينزعوا درع الشجاعة قليلا، وينعموا بلحظات سلامٍ..

نهاية شتاء ممطر...

كانت تلك عادتك السخيفة ومزحتك الثقيلة التي لا تسأم من تكرارها معي..

تعودت منذ أن كنا طلابا في الثانوية كلما أتيتك مثقلة بالهموم أن تفتح ذراعيك لي

وتقول بكل حزم "تعالي إلى حضني يا قصيرة"

حينها لم يكن بوسعي سوى أن أنفجر ضاحكة..

وأضرب كتفك بخفة وأقول: "هل تعلم أنك وقح جدا"

لتبدأ بعدها طقوس حماقاتنا التي لا تنتهي إلا بموجة من الضحك الهستيري

فتجعلني بذلك أنسى كل شيء فعلا

معك كنت أنسى حتى من أكون..

لا أعلم ما الذي جعل هذه الفكرة تخطر ببالي هذا الصباح

وأنا أقطع أزقة الشوارع القديمة قاصدة عملي بخطى بطيئة متكاسلة..

كما لو أنني أردت الاستمتاع بصقيع الجو البارد والتحرش بزخات المطر..

ما الذي ذكرني بك هكذا دون سابق إنذار وبعد مضي كل هذه السنين؟

هل هو الشوق؟

هل هو الاحتياج أم أنه وجع الغياب؟

حقا لا أعرف ولا يهمني أن أعرف..

فكل ما أدركه أنني الآن أود وبشدة أن يعود بي العمر إلى تلك اللحظة

التي كنت تفتح فيها ذراعيك وتبتسم..

يا ليت ذلك الزمان يعود يوما..

لكنت دون سابق تفكير هرولت وارتميت في حضنك لكي تضمّني

لكي تهدأ شهقاتي الباكية بين ذراعيك..

لكي أخبرك كم أن عالمي موحش في غيابك

ودنياي فضيعة دونك..

وأنني وحيدة جدا منذ رحيلك..

ليس حبّا...

كان غامضا إلى حدٍ لا يطاق

لدرجة جعلتها تتحول إلى طبيبٍ نفسي يحللُ كل تصرفاته..

طامعة في فك شيفراته وكشف النقاب عن أسراره..

لأجله تعلمت لغة الصمت..

فصارت تترجم صمته إلى حروف تسكبها في وعاء الكلمات

لتبحث عن معانيها في معجم العشق..

لم تكن تحب شخص بقدر ما كانت تواجه حالة مستعصية على الفهم والتّعايش

جنس بشري خارج حدود التّصنيف

نوع مفرط في تعاليه..

متعصب لكبريائه..

متطرف في أنانيته

شخص بمواصفات كهذه من أين له أن يعرف معنى الحب؟

أن يجرب لوعة الشوق؟

أن يتجرع مرارة الفراق؟

ويدرك ماهية الندم؟

و رغم هذه الصورة التي لا يمكن أن نرى من خلالها أنه ليس إلا كومة عيوب..

بجسارة محارب أحبته

وبإخلاص قديس بقيت على العهد معه..

لم تحاسبه يوما على غيابه الطويل

لم تشتك أبدا من نوبات غضبه المجنونة

لم تتذمر قط من تكبره وغطرسته النّرجسية

في كل مرة كانت تقدم تنازلات كبرى تعقبها تنازلات أكبر..

معتقدة أن الحب أهم من الكرامة..

وأن الألم في العلاقات قدر لابد منه..

قناعتها هذه وإفراطها في السّذاجة جعلها تغفر ذنوبه

وتسامح خطاياه في كل مرة دون أن يطلب هو الصّفح..

ومنحه كل الحق في أن يغادر وهو مطمئن إلى أنها لن تبرح مكانها

وستنتظره إلى الأبد..

الرّقصة الأخيرة...

معك حقّ..

كنت منذ البداية على صواب حين أخبرتني أننا كبشر أسوأ مما نبدو عليه

وأننا على شاكلة غيرنا من مخلوقات هذه المعمورة؛

نبدي في هيئتنا الخارجية الجمال والطّيبة..

وعلى قدر استطاعتنا نخفي عيوبنا عميقا في ركن مظلم من ذواتنا

ذلك انطباعنا المغرور..

وهوسنا بالظهور كملائكة طاهرة لا يسمح لنا بأن نبدو مشوهين في أعين الغير

وكبرياؤنا النرجسي لن يتحمل أن ينظروا لنا بعين الدونية والاحتقار

ورغم أنّك قلت وكنت تعني بدقة ما تقول

ورغم أنني بدوت لك كمن استوعب مقصدك..

إلا أنني لم أفهم

لم أقتنع بكل ما قيل وكبداية لإشباع فضولي بدأت بك..

وأصبحت ألعب معك دور المحقّق

أحلل تصرفاتك وأدقّق في كلامك..

أتابع نشاطاتك

أرصد سكناتك وحركاتك

قضيت في فعل ذلك الكثير لكنني بالنتيجة عرفت الكثير..

اكتشفت أن البشاعة يمكن لها أن تتأنق وتضع عطرا فخما

وترتدي ساعة ثمينة، وتكتب بقلم شاعر وتتكلم بلسان خطيب

وأن الخداع ليس إلّا زمرة دمويّة لدى أمثالك من البشر

أما الكذب فهو معبدهم والأذية عندهم هي مذهب العابدين

أجل كان كل الحق معك..

أعترف للمرة الثانية أنك كنت على صواب

وكنت أنا على خطأ..

لقد أخطأت عندما ظننت أن للمشاعر قيمة

لم أدرك أن لكل شيء ثمن..

وأخطأت أكثر حين آمنت بشيء اسمه "حبّ"

لم أنتبه أن هذا الحبّ ما هو في النهاية إلا حفلة تنكرية

ملزمون فيها بارتداء ألف قناع

نغيرها متى غيرنا شريك الرّقص

والفائز الأكبر من يحتفظ بقناعه لآخر الحفل

اكتشفت كل ذلك متأخرة جدا..

لأنني طوال الوقت كنت مسحورة بك وأنا بين ذراعيك..

أرقص رقصتي الأخيرة على أنغام سيمفونية الخديعة

وحين سكتت الموسيقى وعلا تصفيق الحاضرين

وانفضّ الجميع عائدين إلى طاولاتهم..

كانت تلك لحظة المفاجأة الكبرى لمّا هوى قناعك أمامي

فتحطمت كل صور الماضي الجميل

وتلاشت أحلام المستقبل الآتي

كم كانت خيبتي كبيرة وكم كان وجعي عظيما

ولأنني عجزت عن انتشال نفسي من الصّدمة

مددت يدي أتحسس وجهي كمحاولة لمجاراتك في لعبة الأقنعة

وجدتني لا أرتدي شيئا..

وعلى عكسك لم أكن أمثل أدوار العاشقين

كنت أعيش الوهم بكل جوارحي..

هكذا انتهت الحفلة التي كان دخولها متاحا للجميع

وكان الخروج بثمن باهظ..

وأي ثمن؟ دقات قلب بريء لم يعرف قبلا ما هو الحبّ..

حوار مع صديق(أبيض أسود) ...

تعوّدت دائما أن أقرأ لك قصصا تعيسة تكتبينها بأنامل باكية

ولطالما لفت انتباهي أنك ممن يعشقون الاستماع للأغاني الحزينة..

لم يكن بوسعي أن أغفل عن أن كل دراما تشاهدينها، لابدّ أن يكون للتراجيديا فيها نصيب..

ومع كل هذه السّوداويّة

كنت تقابلينني كل يوم بثغر باسم

بل وتقضين ثلث يومك وأنت تصنعين جوّا من الفكاهة والمرح بين الجميع..

كنت لا تكفين الحديث عن الأمل والمستقبل والتفاؤل..

كيف يمكنك أن تكوني متناقضة لهذه الدرجة؟

وكيف لتناقضك أن يكون جذابا وساحرا بهذا القدر؟

كان هذا سؤاله لي وتساؤله عني..

لم يسعني إلا أن أجيبه:

أنا و كغيري من البشر أحمل بين طيات نفسي تناقضات..

تتنافر أحيانا، وتنسجم أحيانا أخرى

على الرغم من أنني أقضي أمسياتي بيني وبين نفسي..

غارقة في ظلام الوحدة وسواد الوجع

إلا أن نور الأمل يتجدد في قلبي مع كل فجر جديد

هكذا هي أنا متجسدة في قالب أبيض وأسود

هذين اللّونين اللّذين وعلى الرغم من أنّهما نقيضين

إلا أنّهما أكثر لونين يليقان ببعضهما..

وهكذا وجدتني تركيبة مزاجيّة

أشبه بيانو يعود للحقبة الكلاسيكية

لابدّ أن تعزف على المفاتيح البيضاء والسّوداء في آن واحد..

لكي تصنع لحنا شجيّا..

وجع البوح...

في تلك اللّـحظة التي علمت أن قلبه صار ملكية لامرأة أخرى..

شعرت بفداحة خسارتها

خسرت الشّخص الوحيد الذي تمنّت أن يكون لها

ويجمع بينهما النصيب تحت سقف واحد في يوم من الأيام..

أما الآن فقد انتهى الحلم على وقع صفعة مدوية مضمونها أنه من

المحال أن يكونا سويّا

حينها فقط أيقنت كم تحبه..

تلك الفتاة التي لم تعرف يوما ما هو الحبّ

وظلت إلى ماض قريب تنكر وجوده..

وتجاهد لكي لا تكون من ضحاياه

ولكن العيش بحذر لا يجنبنا الأذى..

والحيطة لا تقينا دوما من السّقوط

ومخاوفنا مهما هربنا منها يأتينا يوم للمواجهة ونقف أمامها وجها لوجه

أجل وقعت في الحب

هي من اعتبرته ذات يوم غلطة

واعتبرت نفسها أذكى من أن تخطئ..

فكانت تلك غلطتها التي لا تغتفر

وذنبها الذي لن تتوب عنه..

لم يعد أمامها إلا التصديق بأن النسيان لابد منه..

مادام الفراق قدرا محتوما

وأن مشاعرها ستدفن عميقا بداخلها

كجنين مات قبل أن يولد ويرى النّور

وأن البوح في حالتها ليس إلا ضربا من ضروب الغباء

ولا يتعدى كونه طعنات بائسة..

أصابت جسدا ميتا منذ زمن بعيد...

ما لم تمت أنت...

انتظرتكَ طويلًا وأحببتكَ من بعيد..

كنتَ صعب المنال

وكان الكل يشتهيك..

كنّ كثيراتٍ جِدًّا من حولك إلى حد ضاعت فيه ملامحي وسط تلك الحشود

لم أجرؤ على مزاحمتهنّ، ودخول معترك العاشقين

هناك على مقاعد الانتظار بقيت في منأى عن كل ذلك الصخب..

أتحين الفرصة المناسبة كي أطرق بابك

لكن خجلي كان في كل مرة يحول بيني وبين الاقتراب

وسكّين الكبرياءِ المسلّطة على عنقي ليلا نهارا تنهرني..

إياك ثم إياك، فكلّ إلا الكرامة

ولأنَّك أشبه بقطعةٍ نادرةٍ

الكل هنا كان مستعدا ليزايد إلى أعلى سعر في سبيل الظفر بك..

أما أنا فكنت مفلسة أمل

ليس في رصيدي إلا هذه المشاعر، التي حينما أمعنت النّظر فيها وجدتها لا تساوي بضعة قروش صدئة

وكفِعْلِ محاربٍ نفذت ذخيرته في أرض المعركة

وجد نفسه مجبرا على وضع لواء الحرب تحت أقدامه و رفع الراية البيضاء

حملت نفسي، وأحلامها وعدت أدراجي..

لم يكن البعد عنك هيّن، كما لم يكن القرب منك شافي

فكل طرق الحب إليك كانت تقود إلى الجحيم..

وفي ذاك الدرب الذي سلكت استويت على مهل وأنا أدوس نيران الشّوق

كتمت وجعي وحرقتي

بكيت وانتحبت..

ناديتك مرارا بصوت أبكم..

وعاتبتك كثيرا بصرخات خرساء

تعودت أن أنظر إليك وحدك دون غيرك

وأن أسمعك دون سواك

أن أخلص لك وأنا أعيش خارج مجال تغطيتك

وبعد كل هذا هل تظنّ أنّني منك تحررت؟

أبدا..

فقد كنت أشبه بمرض خبيث استعصى علي اجتثاثه من القلب والخلاص منه..

انعجنت في تفاصيلي وسرت سريان الدم في شراييني

حتى بتّ روحا تلبسني، وتزاحمني في هذا الجسد..

ولأنّه كان مستحيلا لروحين أن تنصهرا سويا في كيان واحد

لم يعد أمامي سبيلا للنّـجاة سوى أن أقتل أناك المتجذرة فيّ كي أعيش..

فلا حياة لي ما لم تمت أنت..

فارس أحلامي...

مرت فترة طويلة انقطعتَ فيها عن زيارة أحلامي..

لم يؤرقني ذلك البتة،

بل كنت في منتهى الاطمئنان..

لطالما كانت تلك الأحلام تعكر صفوي وتكدر مزاجي

كثيرا ما كنتَ تتراءى لي في المنام في أبهى ما تكون الطلّة

تقف بكل وقار وتبتسم بمنتهى الغرور

ثم تدير ظهرك لي وترحل

أما أنا فأركض نحوك بكل لهفة..

أناديك وأصرخ فيك، أبكيك، أترجّاك وأتوسّلك لتبقى

لكن لا مجيب..

فقط تستمر بالابتعاد شيئا فشيئا حتى تتلاشى صورتك..

ويضمحل طيفك إلى عدم

أستيقظ بعدها فزعة ألعن ضعفي واشتياقي لك

أما البارحة فلم يكن الأمر كما جرت العادة، كان غريبا جدا

لأوّل مرّة في منامي رأيتك تبكي..

كنت في مكان موحش يلفه السّواد من كل جهة..

أما أنا فكنت سائرة إلى حيث أنت

أشق بخطوات سريعة تلك المسافة الممتدة بيننا..

مشيت مهرولة ثم ركضت

وكلما اقتربت أكثر كان صوت بكائك يعلو..

ولما أدركتك احتضنتني بقوة، وانغمست مرة أخرى في النّحيب

مددت ذراعيّ كي أحيطك لكنك في ذات اللحظة تلاشيت وسط ذهولي

ثم فجأة هطل المطر..

القوي ليس كما نظن...

يا ليتنا ندرك أن ما يقتل الإنسان ليس البقاء لأيام عدّة دون طعام..

أو انقطاعه عن شرب الماء أو حتى نفاذ الأكسجين

لا أحد يختلف أن كل ما سبق يفقده حياته، ولكن ما يميته حقا وهو

على قيد الحياة هو فقدانه لنفسه..

وذلك لا يكون إلا بغرقه في الوحدة

بمعاناته في صمت

بغياب فسحة الأمل لديه

بشعوره بالعجز والضعف

بأنه منبوذ من قبل الجميع

لنتوقف هنا قليلا، وليفكر كل واحد منا في ذلك الشخص الذي نلجأ له

ونحن في أسوأ أحوالنا..

ذلك الشخص الذي نذهب إليه حاملين خيباتنا فيتقاسمها معنا

ذلك الذي لم نطرق بابه في كل مرة بخاطر مكسور إلا وجبره..

ذلك الذي نستمد منه طاقة الفرح لنشحن بطارية التفاؤل والأمل لدينا

هل فكرنا يوما فيه؟

في احتمال أنه بدوره متعب؟

أنه في أمس الحاجة للمساعدة؟

هل جربنا أن نتبادل الأدوار معه ولو لمرة يكون فيها هو الشاكي ونحن المستمعون؟

أفترض أن الإجابة "لا"

لأننا ببساطة تعودنا على الاتكال عليه..

وقد رسخت في أذهاننا تلك الصورة النمطية على أنّه هو القوي الذي لا خوف عليه..

وتناسينا عن سابق إصرار أن الأقوياء ما هم في نهاية المطاف سوى بشرا مثلنا

يحتاجون في كثير من الأحيان لأن يخلعوا عنهم رداء القوة ويتجرعوا شيئا من الضعف..

لأن يترجلوا من على صهوة الصمود ليلتقطوا أنفاسهم

ويلملموا ما بعثرته الحياة فيهم حتى يكون في مقدورهم المضي قدما..

ليكونوا الأقوياء الذين نستند عليهم...

لماذا رحلت؟

في بداية تعارفنا كنت أنت شابا وسيما في غاية اللباقة..
وكنت أنا فتاة عادية في منتهى الصراحة
لباقتك تلك التي لم تستطع أن تغطي على فضولك النهم للتعرّف
وصراحتي التي لم تكن قادرة على إرضاء فضولك..
وأمام إلحاحك لم أجد مخرجا سوى أن أبوح بشيء عني،
وأخبرك أنني لست أبدا كما أبدو..
فرغم إشراقة هالة الفرح التي تلفني.
إلا أنني أشبه بصندوق أسود يجيد الإحكام على أسراره ..
تعودت منذ زمن على وحدتي ومع الوقت عشقت انعزالي
وصرت لا أجد نفسي إلا في البعد عن بني البشر
كل ذلك تراكم في روحي..
وجعلني لا أخشى شيئا بقدر ما أخاف التعلق بمن يهون عليه التخلي
عني في منتصف الدرب..
يومها وعدتني أنك ستكون لي نعم الصديق
وأكدت لي أن الصداقة رابط مقدس وشعور طاهر ونقيّ
على عكس الحب الذي قد تشوهه الشهوات الشيطانية

والمآرب الذاتيّة

ذلك أن الصديق لا يتخلى عن صديقه

بل يتمسك به ويأخذ بيده إلى نهاية الطريق

أما الآن فاسمح لي أن أعود بذاكرتك إلى ماض قريب

إلى يوم ماطر من شتاء هذه السّنة

لازلت أتذكر جيدا حين هاتفتني ذات مساء

يومها وعلى غير عادتك بدا لي صوتك مهموما حزينا

ينبئ أن ما ستتلفظ به شفتيك لأمر في غاية الأهمية..

على الطرف الآخر من المكالمة كانت كل ذرة مني متأهبة لسماعك..

وبنبرة أقرب إلى الهمس قلت:

لا تتركيني، ومهما طال غيابي انتظريني

ولا تصدقي أبدا كل ما يقال عني

واعلمي أنني لا أحمل بين ضلوعي قلبا قاسيا...

أعترف أنني أعشق غروري ومتطرف إلى أبعد الحدود في أنانيتي

وفي كثير من الأحيان أكون غامضا وغير مفهوم بالنسبة لك

ولكن كل هذه العيوب وعلى رغم كثرتها لا تنفي حبي ومعزتي لك

صديقتي العزيزة..

يومها قلت أنت ما قلت وصدقت أنا بكل سذاجة

وخيُّل إليّ أنّني بالفعل شخص عزيز في حياتك..

وما الذي حصل بعدها؟

لا شيء سوى أنك ودون سابق إنذار رميت بي خارج أسوار حياتك

دونما تفسير..

دون عناء شرح السّبب

تاركا لي ألف ذكرى بيننا..

كلها تسأل "لماذا رحلت؟"

شذرات على مرمى الطّريق...

تساءلت اليوم..

ما الذي يركع الإنسان أرضا في أشد لحظات اليأس واللّاحول؟

التّـراكمات..

وحدها التّراكمات تفعل ذلك

حين يحمل الإنسان ما لم يعد له طاقة عليه

تأتي عليه ساعة ويخرّ..

***

أجمل ما في الكتب أنّـها تأخذ بك إلى عوالم الخيال

هناك حيث رسمت لوحة حياتك كما أردت أن تعيشها

تهيم بين ألوانها وتمتزج روحك مع خطوط ريشتها، وتنسى نفسك..

وتنسى الواقع الذي تقف عنده..

ثم بلحظة تصطدم بنقطة النهاية وبآخر الكلمة

فتستفيق لتدرك أن الواقع ما هو إلا لوحة مشوهة للأحلام

***

موقفان اثنان تكون فيهما على سجيتك مهما تصنعت

ومهما اصطنعت لنفسك الأقنعة..

الأوّل: حين تحبّ

الثّاني: حين تفقد..

الحب يعريك من كل شائبة علقت بتلابيبك لتكون فقط أنت..

والفقد يريك كم أن لعبة القناع تلك جدّ سخيفة..

جدّ مرهقة

وجدّ مُستنزفة...

***

حين تشعر بالأمان سيلين قلبك رويدا ودون إدراك

حين يمنحك أحدهم أمانا لن تكون بحاجة لشيء آخر..

لأنه ببساطة تكون قد وجدت حاجتك

وجدت ضالّتك..

حين تجد أمانك

ستنبض العضلة التي على يسارك فجأة..

***

أكره النّسخة الثّـانية والثّـالثة والرّابعة منك إن وجدت

أحبّ نسخة واحدة أنا..

الذي عرفته

الذي أحببته..

الذي أطرب روحي على وقع صوته..

الهادئ المدلل في حضرة عشقي

لذلك حين أقسو عليك فبما قسوت أنت..

حين أقول كرهتك فبما جرحت أنت

وحين أقول دعني وابتعد فبما ابتعدت أنت..

أدنو مني تجدني أنتظرك..

راقب عيناي تجدها متلهفة لرؤيتك

اجعل سمعك على قلبي تجده يدقّ بأحرف اسمك..

أكتب لي تجدني أقرأُك..

ودعني أعترف الآن بما لم يخطر على بالك

كلما كرهتك أجدني أحبّـك..

***

المرأة في الحب كالزهر في الروض..

لا تشحذ الاهتمام

إن وجدته تفتحت وازدانت ألوانها..

وإن هي فقدته ذبلت وذبل حبّـــــها..

لا تسأل امرأة لماذا تغيرت بل اسألها ماذا فقدت

لا تعتب عليها، بل راقب حالها بين اهتمام وإهمال..

***

هناك دائما زاوية خفية لا تلتقطها العدسة..

ودائما ما توجد خرزة مفقودة تعطل اكتمال العقد

وحلقة مفرغة تتقنّص النّهاية فتنقصها

دائما هناك تتمة لمن يمعن أن على حواف القصة كلمات تتدلى..

أمّـــا عنّي..

فأحترف ذلك فعلا

الجزء النّاقص من الحكاية بات حرفتي...

***

مرة أخرى المطر..

سيل الحبر وسيل الكلم، ولكن عن ماذا أكتب؟

الحبّ؟

مفقود لديّ..

الوطن؟

غابرة أيامه، تائهة رعيته..

القيم؟

غائبة منذ أمد..

الـــزّمن؟

يخط وقعه..

نحـــــن؟

نقف كشواهد دونما مبالاة..

عنّـــــي؟

ضائعة في زخم كل ذاك...

***

يوما ما سنلتقي صدفة في شارع ما..

أكون فيه أنا على طرف، وتكون أنت على الطرف المقابل

سأطيل النّـــظر إليك كأنّني أعرفك

وستطأطئ رأسك لأنّـك تعرفني...

***

كنت تغازلني فتقول "أموت لأجلك"

وكان لا يعجبني ذلك، فكنت تضحك وتردّ "هو قول العشّاق عزيزتي"

كنت على دراية أنه لا أحد يموت لأجل آخر فأردّ "أمّا أنا فأحبّك حتى الموت"

مرّت الأيّــام..

مات حبّك لي

ولا زلت أحبّك حتى الموت..

***

كنت أتوق لألقاك

أتوق لأكتب لك

كنت أخبئ لك من الأحاديث الكثير الكثير..

الكثير من الكلمات

الكثير من الضّحكات

من الهمسات والسّخافات

كنت أتوق لأطربك من جوقة الذكريات لكنك لم تنتظر

علقت كل الكلم في حلقي، وغادرت دونما التفاتة منك..

وها أنا ذا بعدك

أجلس وخيبتي أكتب عنك..

نفس الأمنية، فقط شيء من الأحرف تغيّـر..

اليوم أتوق لأنساك

لأمحو ذكراك

لأسكت نعيق الماضي وأتعدّاك..

***

أ محكوم علينا نحن الحالمون المفرطون في الحلم أن يجفو الكرى

أهدابنا..

أوَ يعاقبُ الحالم بحلمه؟

***

في كل مرة تضيق بها السّبل

كانت تنزوي في غرفتها تزاول عادتها في الصمت وتقرأ..

في كل مرة يضيق صدرها، وتحزن كانت تفتح كتابا جديدا

أبدا لم تكن وحيدة

كانت لديها كتب..

أصدقاء على هيئة كتب

***

لم أكن بتلك السّذاجة، ولكن أرى نفسي كذلك

لم أكن بتلك البشاعة، ولكن أرى نفسي كذلك

لم أكن بذلك الفشل، و لم تكن كلماتي بتلك الرداءة، ولم أكن بتلك الدناءة، ولكن أرى نفسي كذلك..

كنت دائما أضع نفسي في الدرك الأسفل من الظنون لأصقلني..

أعي تماما أنني نرجسية بتفكيري، وكان جانب منّي يرفض ذلك بشدّة فحاربت نفسي لأثبت غير ذلك..

أنني لست على ذلك القدر من الجمال

ولست بذاك القدر من التميّز

وأنّني لا أستحق حبّ الجميع..

وأنّني المخطئة في الكثير من الأحيان

وأن حزني لم يتسبب فيه أحد..

أنني لست مثالا لأحد، ولست بتلك النّقاوة والملائكيّـــة..

كان لابد أن أحارب لأجعلني في المكان الذي يتوجب أن أكون فيه، لا الذي يكون فيه ظنّي..

لأكون أنا ولا أحد سواي، وكان ذلك ما يتعبني..

***

عند كل خيبة كنت أكافئ نفسي بشيء جديد

نص جديد، قلم جديد، كتاب جديد

لحظات فرح جديدة، أمل جديد، نجاح جديد..

لم أكن لأرضى البكاء لشيء ولىّ واختفى

لم أكن لأرضى العيش في كنف الألم تلفني الأحزان وأرثي لحالي..

دائما ما كنت أختلق لنفسي شيئا يسعدني..

كنت على يقين أن السّعادة تنبع من أعماقنا

فلم أنتظر عابرا يتصدق بها عليّ...

***

هل يقسو الإنسان من فرط الحبّ؟

نعم يقسو..

يداري بقسوته الشّـوق والولع

يقسو بذلك على نفسه قبل كل شيء..

وهل ينجح في المداراة؟

ينجح، ولكن يفضحه قلبه في آخر المطاف..

***

كبشر نستطيع التّعدي

نتعدى كل شيء، ونستطيع تجاوز كل شيء..

مهما طال، مهما كان كبره، نفعل..

لكن مع ذلك يبقى هاجسا

نضعف أمامه، ولو ملّكنا قوّة الأرض..

كبشر نتعدى نعم

نرمي وراء ظهورنا، ونمضي بأمل..

لكن يبقى الهاجس

ويبقى الخوف...

***

كأن أفضي إليك بأن قلبي ضعيفا لا يحتمل تعبا..

فتتعمد أن تتعبني وتأتي على ما تبقى من نبضه

كذلك هي الخيانة...

***

حين تتحدث عن الحبّ، يستتب الشوق بداخلك..

وينوب الدّمع عن الكلام

تاركا المجال لطوفان يفيض في قلبك..

وتصمت تماما عند منتصف الحكاية

تصمت وتتابع العيون حديثك...

***

حين تمتلئ أعيننا بالعَبرات وتختنق العبارات في حناجرنا..

نختبئ بين أسطر الكتب

نقرأ أو نتظاهر بذلك، لست أدري تماما..

نهرب إلى الكتب كخيار وحيد

أنا الآن أحمل كتابا..

أحشر أنفي بين طياته، وعيناي تغرقان في الدموع..

هو وقع الكلمات، وأثر القصة..

هكذا ألقي الخدعة التي يصدقها الجميع وأبتلع غصتها

وأصمت..

تنقذنا الكتب في كل مرّة

تعفينا من الجواب..

من البوح

من شفقة العيون الأخرى..

***

موجع..

حين تتوقع أن تكسر مخاوفك

فيكسر قلبك..

كنت قد أخبرتك أن قلبي بكر

فلمَ عساك استعجلت فطامه!

***

كنت على دراية أنك لم تحبني من البداية

أحببت الأحداث، أحببت الوقت معي ولكن لم تحبني..

أحببت اهتمامي، أحببت تعلقي ولكن لم تحب قلبي

كان علي أن أتوقف في اللحظة التي انقبض فيها قلبي..

حين أردت أن أصدقك وأردت أن تسترسل في الكذب

كان عليّ أن أعود أدراجي ولكنّني أكملت الطّريق..

وأكملت أنت أكاذيبك

الآن أنا معك موشومة بأثر الخدوش..

أكمل طريقي حافية، وباطن قدماي يدمي دما لكثرة الجروح..

أمّا عن قلبي فلا تسأل

انكمش كأنه لم يكن..

انكمش لكثر الثقوب التي أحدثتها فيه

كانت خطيئتي الحبّ

وكان جزائي الخيانة..

***

بعض الأوجاع لا تترجم

بعض الأوجاع ترسم أثرها

تحترق الروح، تئنّ القلوب بدل الأفواه..

صمتا نتآكل

يتجمد الدمع في مآقينا، ونحزن..

نتلمس الجرح ونلملم الكسر

نهمس هناك، عميقا في داخلنا..

أن هذا الجرح سيضمد

هذا الوريد سيعود لجريانه..

هذي الروح ستشفى

هذا الوجع زائل..

ويزول الوجع لكن

يبقى الأثر..

***

أحيانا..

ننسى أنفسنا في غمرة مشاعرنا..

ونسيت نفسي في غمرة حبك

وتعبت بعده..

حسنا، لنعد كما كنا قبل..

أعود أنا لقوقعتي وكتبي وأوراقي

وتعود أنت لسجائرك وسوداويتك

بيد أننا لم نفلح في احتضان قلبينا فكسرا في غفلة منا

بيد أننا لن نفلح في اختلاق العالم الذي تمنيناه سويّا..

وأن كل أحلامنا كانت بالونا انتفخ بأنفاس لهفتنا الأولى ..

ثم ما لبث أن انفجر مخلفا شظايا روحينا

لنعد كما كنا قبل..

فقط أكتب..

وأنت لا تقرأ..

***

حين تتألم ستتعلم كيف تقسو

تبرد حرارة شغفك رويدا

تفقد قيمة الأشياء التي لطالما أعطيتها وزنا شيئا فشيئا..

تمل الانتظار فما تعود تنتظر أي شيء من أي كان

تفقد الثقة وما تعود تهتم للكلام الذي يقال

لن تصدق الوعود، ولن تعود لتؤمن بالميثاق والعهود

حتى القسم يفقد شفافيته، ويمسي زلة لسان...

***

وفي لحظة طوفان هادر..

كرهت الجميع

ولعنت معرفة الجميع إلّا هو

كان يتحسس وجنتي فتهدأ حفيظتي..

يعزف بصدى صوته ترنيمته فتسكن ثورتي

يضحك فتلين التقاسيم المتصلبة على وجهي

يحضنني فأنام بأمان طفلة بين أخاديد عروقه أحتمي بدفء راحته..

ينظرني فأنسى حنقي

إن كان كل العتب عليه..

فكيف بعد كل هذا أعاتبه؟

***

الذي يقف على شفا حفرة لا يحتاج نصيحة..

بل دفء حضن وغزارة اهتمام

المشرف على السقوط لا يحتاج أقوالا..

بل كفا يمسك بها

والغريق لا يحتاج درسا عن تقنيات السباحة

بل قشة يتشبث بها..

المحبطين، المكتئبين، المكروبين، الموجوعين الذين غلف الألم قلوبهم..

الصامتين، المنعزلين، والوحيدين، والخائفين، و كل الذين ارتعش

داخلهم فقدا للأمان..

كل هؤلاء فقط احتاجوا هذه العبارة "أنا هنا، أنا معك"

***

اليوم الذي يكون لائقا لتثبت فيه نفسك لا تفوّتــه..

إن حصل وأتتك الفرصة لتفعل ذلك لا تضيّعها

أثبت نفسك، وأثبت ثقتك بها وكن أنت..

فباقي الأيام وجلّ الأسباب لن تكون متاحة كمثل ذلك اليوم..

"من الأسهل أن تكون غيرك أو لا شخص على الإطلاق؛

لكنّها مسؤولية كبيرة أن تكون نفسك"

هكذا كتبت سيلفيا بلاث وصدقت فيما كانت تكتب..

لا أحد سيصدقك، وأحدا لن يشجعك..

لا أحد يريد أن يراك في مكانك الصّحيح..

الكل يثرثر أمامك أنك تستحق، ثم تستدير فيلعن أحلامك

أحد لن يدفعك لتصل

سيسعى الجميع وتتكالب الصّعاب لتثبيط اندفاعك..

لذلك درهم في لغوهم، أنصت ولكن إياك الانصياع لسلبيتهم..

ثابر وثابر، وأكمل سبيل طموحك..

***

تعودت أن أصقل قلبي على الأوجاع

تعودت أن ألطمه كلما طلب احتواء

عودته العزلة، واجترار الألم مع الوحدة..

لقنته دروسا عدة في الصمت

لم أعوّده الذل يوما برغم ضعفه..

برغم كل العواصف عودته أن يثبت..

***

لم أتعمد يوما أذية أحد..

كل الذين أصبتهم بسهام آذت قلوبهم لم يكن بقصد..

سقطت السّهام مني سهوا

أصابتني قبل أن تصيبهم..

ذلك أني أخشى الأذية أكثر من أي شيء..

لم أتعمد يوما القسوة

كان حدّ قسوتي الصّمت

الابتعاد قليلا، والبكاء مطوّلا

بيد أنني بذلك أقسو على نفسي أكثر من أي شيء..

لا تناسبني الأذية ولم تكن القسوة يوما على مقاسي..

أختنق في كل مرة أحسست فيها بذلك

أبادر بالصّـــفح..

أبادر بالحسنة دوما لأدفع بها سيئتي..

يناسبني اللّين دوما

تناسبني الطّمأنينة..

***

لا تخبروني عن البدايات..

أخبروني عن الخلاف، عن العتاب..

أخبروني عن الوجع، عن سيول الدمع..

عن العيوب، عن النقص الذي يبدو كمالا..

أخبروني عن التضحية، عن التمسك، عن إيباء التفريط..

عن الاحتواء، عن الذراع التي تحتضن

عن الظهر الذي يسند

عن الإحساس الذي لا يعرف زورا

عن الأذن التي تصغي دونما كلل

عن النّفس التي تتفهّم

عن القلب الذي لا يعرف كرها..

أخبروني عن الدرب، عن أشواك الدّرب

أخبروني عن النّهايات..

البدايات زيف

شغف البدايات ليس حبا ولا صداقة..

ولا هو أيّ علاقة من العلاقات

دليل العلاقة دربها، وصدق نهايتها..

***

أوَ تدري مشكلتي يا صديقي؟

مشكلتي أنّني أتعلّق بشدّة، ولا أنس أبدا..

يؤلمني الغياب

يؤلمني الفقد بشدّة..

رباط شعري الأسود، نظّارتي بنية اللون..

سواري الذي فقدته في الطريق، وحمامة الزاجل التي بكيتها بذات شتاء..

كل الأشياء التي تركت أثرها في ذاكرتي يؤلمني فقدانها بشدّة

مشكلتي الذكريات العميقة..

أتحسر كثيرا

أتحسر بشكل مفرط لكل ما أطبقت عليه كفّي وحبي وضاع منّي..

أتحسّر للأيام التي خذلتني وأبعدتك عنّي..

يؤلمني حبّــك..

يؤلمني فقــدك..

تؤلمني ذكراك بشدّة..

***

كيف نتجاوز كل هذا القلق؟

باليقين..

حين تدرك أن الله لن يخذلك، ستطمـــئنّ..

***

ثم يأتي الليل بكامل ثقله ويطبق علي ..

يكمل آخر طقوس الحزن وأحترق..

كل يوم..

أستنزف بالطريقة الوحشية نفسها..

أنكمش على نفسي

ألملم ما تبقى من رماد روحي لأواجه وجعا آخرا بنفس الوجه الشاحب..

وهكذا وجدتني أصارع الحياة بدل أن أعيشها

خاوية بتّ يا حلمـي..

خاوية بتّ يا أملـي..

خاوية بتّ أيّتها الحيـاة..

***

في الحياة هناك دوما وقت مستقطع..

وقت نراجع فيه حساباتنا

نعيد تسطير أحلامنا وأولوياتنا..

ما الذي وجب أن نحزن لأجله؟

وذاك الذي آن أن نفلت قبضتنا عليه..

ونلتفت لمداواة الأخاديد المحمرة من أثر القبضة

نلتفت لكبر الأماني تلك التي أسرفنا في تضخيمها دون أن تتحقّق..

وقت نجاري فيه الأيّـــام تجنّبا لحدوث الأسوأ، وحفاظا على ما تبقّى

بين أيدينا

تماما هو الوقت الذي نسعى فيه لتهدئة أرواحنا لا غيـر..

***

تمّ بحمد اللّٰه

***

الفهرس

الإهداء	07
لست بخيـــــر...	08
في شريعة الحبّ أنا كافرة...	10
أسطوانة حياتي...	13
عذر أقبح من ذنب...	15
الوقعـــــة...	17
الرّمق الأخير قبل انتحاري...	20
فقدتها وكفى...	22
كلمات لن تقال باللّسان...	25
ميلاد آخر...	28
بذات هشاشة...	31
على مشارف تشرين...	35
رثاء المحبّين..	37
بقايا طفلة على أبواب عام آخر...	39
حين كتبت...	41
وشاء الوجع...	43
وكانت آملة...	46
على قيد الفرح...	48
لا تطلب الإذن...	50

سوسة خطرة... 51

صرت شبحا... 52

أبحث عن نفسي... 54

شبح الذكريات... 56

أنت تناقضاتي... 58

نوبة حنين... 59

اعتراف رجل هزمه الحب... 60

رجل لا تتّسع له الدفاتر... 62

حوار مع صديق (الهروب)... 64

بين امرأتين... 66

حين يتكلم الصّمت... 69

امرأة تمقتها... 70

زمن ساعي البريد... 72

خطوط رفيعة... 73

أحبّـــوا أنفسكم أولا... 75

المجد كلّ المجد للنسيان... 76

على قدر الجريمة يكون العقاب... 77

لستُ بخير... 80

نهاية شتاء ممطر... 82

ليس حبًا... 84

الرّقصة الأخيرة... 86

حوار مع صديق(أبيض أسود) ... 89

وجع البوح... 91

ما لم تمت أنت... 93

فارس أحلامي... 96

القوي ليس كما نظن... 98

لماذا رحلت؟ 100

تساءلت اليوم.. 104

تم بحول الله وقوته

للنشر والتوزيع والطباعة واقتناء الكتب يرجى التواصل معنا:

مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com

هاتف / فاكس 033 80 47 79 / 0770 68 04 19

واتساب/0675 49 73 86